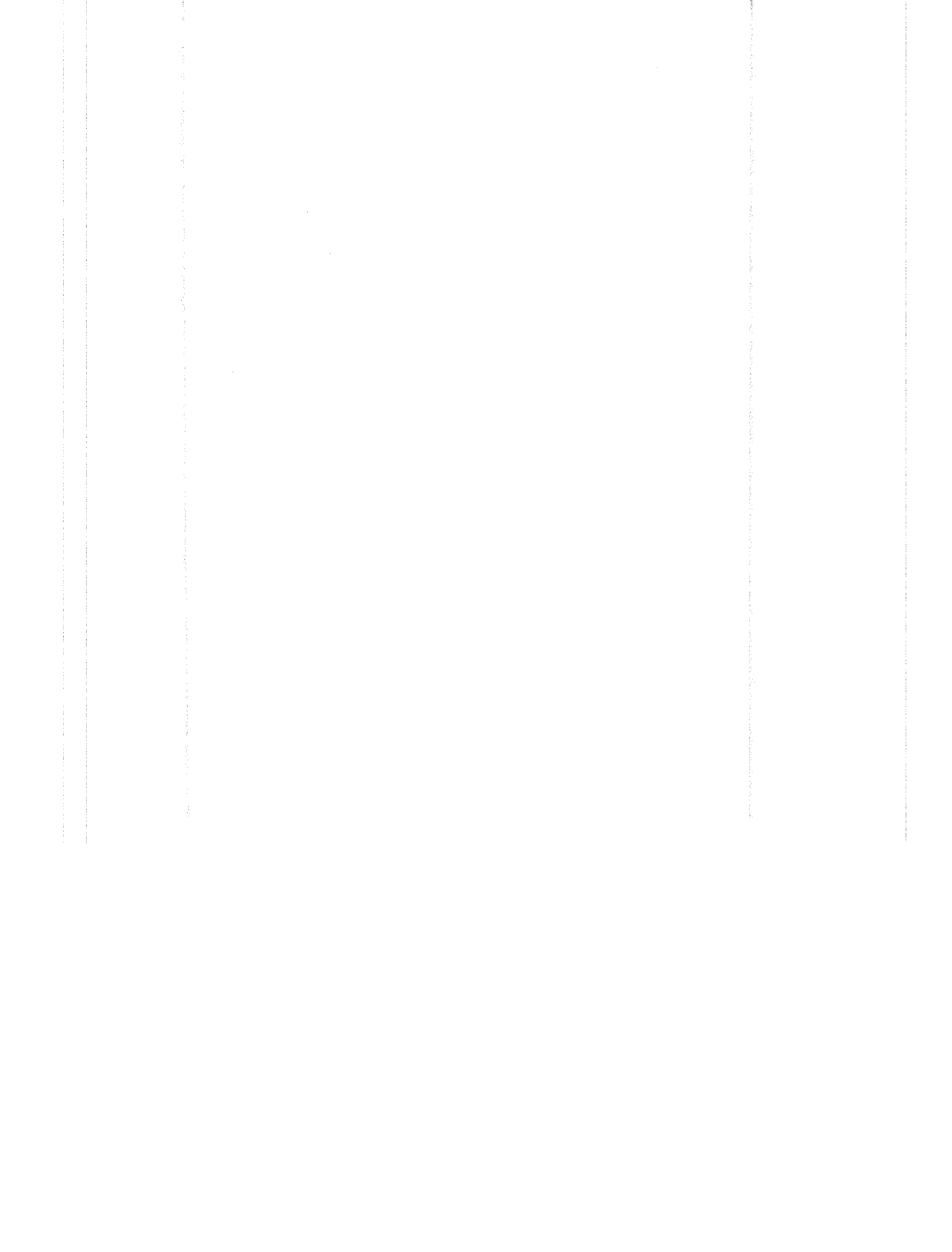
أحمد مجدي

قــاهــريّ

الرواية



2008



قاهريّ



الإشراف العام:

محمد الحسينى

المراسلات:

21- ش الصنديلى بالجيزة

17 ش العطار بالجيزة

ت: 35712618

موبايل: 0102313579

الموقع الإلكتروني:

www.darnefro.com

البريد الإلكتروني:

dar_nevro@hotmail.com

جمهورية مصر العربية

اسم الكتاب:

قاهريّ

اسم المؤلف: أحمد مجدي

رقم الإيداع: 26317/ 2007

الترقيم الدولى: 6-44-6196-977

تصميم الغلاف: كامل جرافيك

الطبعة الأولى **2008**

إهــــداء

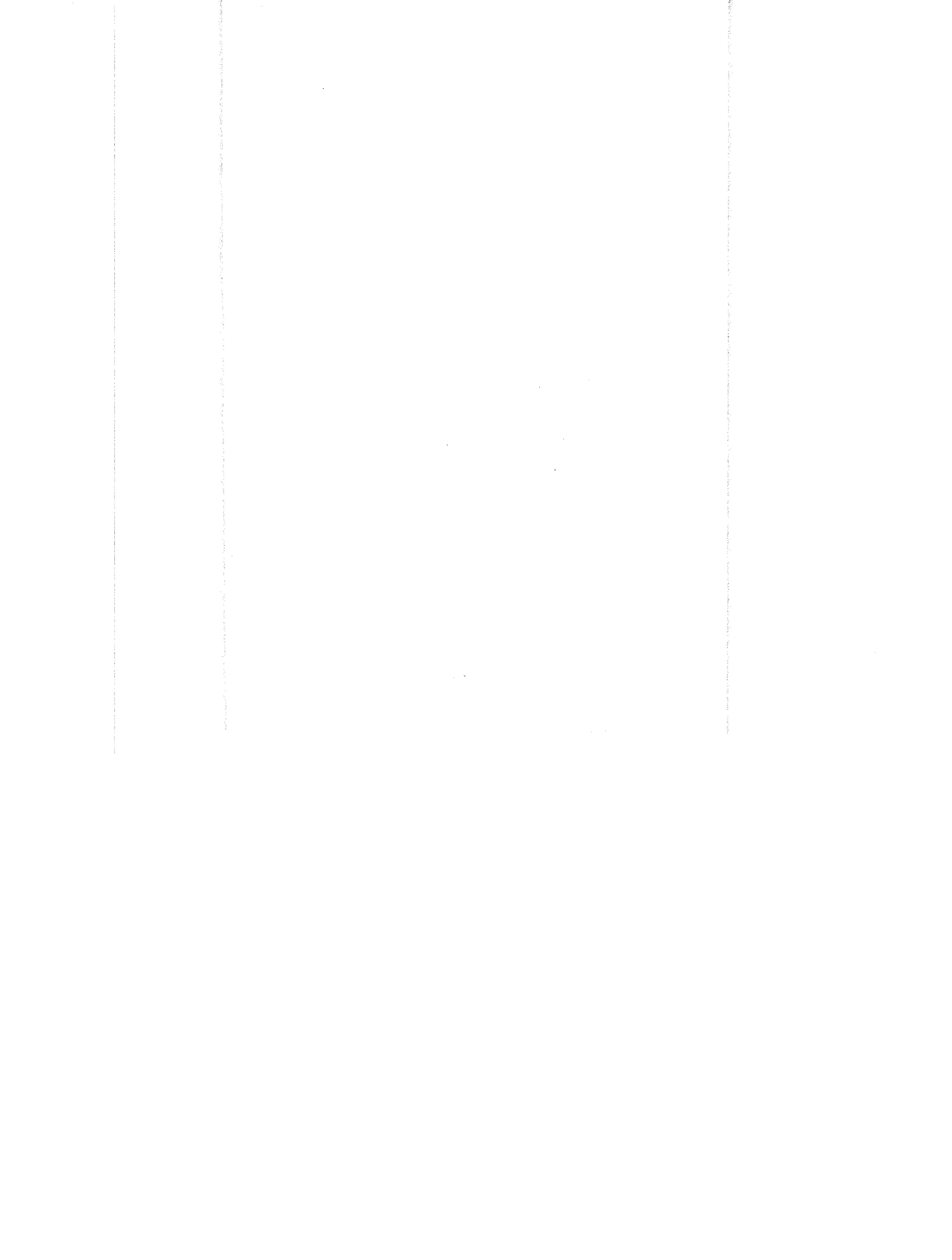
- **من الضمير:** إلى أبي وأمي، وصديقي الشاعر أحمد مختار... لكم كل الحب.
- **مـن العقـل:** إلى أساتذتي أ.أسامة الرحيمي، د.محمد عبـدالله حسين، ومعلمتي التـي لم أرهـا "أحـلام مـستغانمي"... مدينٌ بالكثير.
- **من القلب:** Meu gatinho.. eu Te amo.



على من يتوافر لديه القدر الكافي من الجنون ليستمر اليوم في كتابة الروايات، أن يكتبها بطريقة تجعل اقتباسها متعذرا، حماية لها، بعبارة أخرى، طريقة تجعلها غير قابلة لأن تروى)

(ميلان كونديرا)

وأنا لن أعمل بمشورة الكاتب التشيكي، ولن أتحاذق، أنا أبسط من ذلك بكثير، سأكتب شئ بوسعك أن تحكيه لآلاف غيرك، فأنا لم أشهد هوجة (الهيبز) في الستينيات، ولم أستوعب أحداث حرب الخليج لصغر سني، ذلك أن بداية وعيي كانت هدف سعيد العويران في مرمى بلجيكا بكأس العالم 1994 بالولايات المتحدة..





(الفصل الأول)

" هنا القاهرة الساحرة الآسرة الهادرة الساهرة الساترة السافرة
هنا القاهرة الزاهرة العاطرة الشاعرة النيرة الخيرة الطاهرة
هنا القاهرة الساخرة القادرة الصابرة المنذرة الثائرة الظافرة..

صدى الهمس في الزحمة والشوشرة
أسى الوحدة في اللمة والنتورة
هنا الحب والكدب والمنظرة
نشا الغش في الوش والإفترا"

(سيد حجاب)

(1)

القاهرة إذن..

في سن السابعة عشر أعود لمصر محملا بذكريات الإجازات الصيفية التي قضيتها هنا، عدت محملا بنصائح وطموح وشوق وألم وأمل وخوف، خوف من هذا المجتمع (سيء السمعة)، أجل سيء السمعة، يملأني ألم فراق رفاقي وحياتي التي لم أر غيرها في (العين) تلك المدينة الوديعة في جزيرة العرب، أحمل على كتفي وفي ذاكرتي نصائح أصدقائي المصريين وأساتذتي الذين حذروني و أرهبوني من صعوبة وقوة النظام التعليمي في مصر، غير أن آمالي وشوقي لخبايا هذا البلد كانا أكبر من أي خوف أو رهبة.

رغبتي في الالتحاق بكلية الأعلام توقدني بالحماس، رغبتي في التخلص من عذريتي - التي فرضها علي مجتمع ذكوري محافظ حد الشراسة والتوحش - تزيل رهبتي، كيف هن بنات مصر ؟ لا أملك مخزونا من التجارب يتيح لي الحكم والمقارنة، فمواعدة فتاة هناك في الخليج أشبه بأن تضرب موعدا مع عزرائيل، هذا ما توصلت إليه رغم ما كان يحكيه الرفاق لي عن مواعيد يضربونها لبنات الجيران، أو تفاخر صديق وهو يحكي لنا عن عبثه مع الخادمة الفلبينية، لكن أنا ؟.. أبدا ! كنت أكتفي باستراق النظر إلى ابنة أحد أصدقاء أبي، أو التلصص على جاراتنا الشاميات في مجلسهن يدخن السجائر النسائية Slims و Vogue، بخلاف ذلك لا شيء.

واليوم أجد نفسي في القاهرة، حيث كل شيء متاح..

(2)

يومي الأول في المدرسة الثانوية كـان صـدمة حـضارية مروعـة، ذهبـت للمدرسة بعد مضي أسبوع من بدء الدراسة، وفوجئت أن الصف (أو الفـصل كما يسميه المصريون) عبارة عن حجرة عـلى المحـارة، شـبيهة بالزنـازين التـي نراها في الأفلام المصرية، شـخابيط وكتابـات تذكاريـة عـلى الجـدران، شروخ وحفر على ذات الجدران، حفرة يـدس بهـا أحـد الطـلاب كوبـا مـن الـشاي يتصاعد منه البخار، أخذ الطالب يرشفها أثناء حـديث المعلـم وشرحـه، كـم مهول من الطلاب جاوز عددهم الستين، بخلاف أن المقيدين في قائمة الفـصل 87 طالبا، لم أجد لنفسي مكانا أجلس فيه سوى بضع سنتيمترات عـلى (دكـة) يجلس عليها طالبان اثنان فقط، بينما باقي الدكك يجلـس عليهـا ثلاثـة طـلاب وربما أربعة، اتجهت صوبها واسـتأذنت في الجلـوس، لم يمانعـا، كنـت أتعامـل بلطف وأدب بسبب ما سمعته عن بلطجة الطلاب المصريين.

جلست وقررت أن ألقي توتري جانبا وأركز مع مدرس اللغـة العربيـة، الذي أنهى درسه في عشرين دقيقة ثم انفتح في الحديث عن كـبر حجـم مـنهج اللغة العربية، ومن ثم أخذ يتحدث ويلقي نـصائح عـن كيفيـة المـذاكرة التـي تقود إلى الحصول على مجموع، ثم كتب على السبورة:

(وأنبتها نباتا حسنا)

- من يعرب الآية الكريمة ؟

ارتفعت الأيادي، بينما التزمت أنا الصمت، لن أجيب حتى أعرف سياسة هذا الرجل في التعامل مع الإجابات الخاطئة.

- أنبت فعل ماض مبني على الفتح، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، نباتا مفعول مطلق منصوب وعلامة نصبه الفتحة، وحسنا نعت منصوب

نظر المدرس للطالب وطلب منه أن يظل واقفا.

- زميلكم أخطا في إعراب كلمة، ما هي ؟ أجب أنت.
- نباتا.
- صح، أعربها.
- مفعول به.
- ابق واقفا.
- ها..من يعرب ؟
- مفعول به ثان ؟
- لا

وتوالت الإجابات الخاطئة، وصل عدد الطلبة الواقفين إلى 9، إلى أن أوضح مستر هشام أن إعراب نباتا هو (نائب عن المفعول المطلق منصوب)، ثم أضاف:

- امتحان آخر العام سيشتمل على (تريكات) مماثلة لهذا السؤال، فلماذا تخسر درجة كهذه إلى جانب الدرجة التي يفقدها أي طالب في التعبير ؟

عندما سألت قريبي موجه اللغة العربية أخبرني أن النائب عن المفعول المطلق ليس ضمن منهج الصف الثاني الثانوي !

(3)

أولى مناوشاتي مع بنات القاهرة كانت في فرح إحدى قريباتي، كانت القاعة تعج بالمدعوين، لفت نظري أن الأفراح في مصر تستغل لتستعرض الفتيات العازبات دلالهن في فساتين السهرة ويقمن بتقديم (شو) راقص، موسم تزاوج تلعب فيه الأمهات دور قرون الاستشعار.

على اللوحة الصغيرة التي وضعت بجوار الباب الرئيسي للقاعة محاطة بباقات الورود خططت بقلمي:

(ألف مبروك يا عروسة، أنا من عشقك عمرا، وهو من ظفر بك، ملعون أبو الفلوس)

ثم انصرفت للرقص عساي أظفر بفتاة في سوق النساء هذا، كانت فرقة الباليه غير المحترفة والتي تعاني أغلب فتياتها من وزن زائد تؤدي عرضا بعد أن كف الضيوف عن الرقص بناء على طلب الـ D.J، وقفت أتابعهن عن كثب عندما وجدت إحدى فتيات الفريق تقف بجواري ولا تشارك في العرض، ملت نحوها كي تلتقط صوتي وسط ضجيج الموسيقى وقلت:

- لم لا تشاركيهن الرقص ؟

نظرت لي مليا وتفحصتني ثم ردت:

- رقصت في الشو الأول.
- ألا ترين زميلتك تلك، في الصف الأول إلى اليمين، أليست بدينة نوعا ما ؟ بالله كيف تركتموها تظهر بكل تلك الترهلات ؟

ابتسمت، كأني التقطت تفكيرها، هتفت وهي تشب قليلا كي تصل إلى مسامعي:

- لأن الكابتن...

قاطعتها مازحا ومغازلا:

- الكابتن معندوش نظر.

ابتسمت وأطرقت، تابعت مهمتي:

- ما اسمك ؟
- يمنى، وأنت ؟
- آسر
- كم عمرك يا آسر ؟

أها.. سمعت أحد رواد المقهى الذي أرتاده لمشاهدة المباريات يقول لصديقه (إذا أعطتك البنت هذه - مشيرا لأذنه - فستعطيك عقبها هذا، وأشار لما بين فخذيه)، مرحى، أنا في الطريق الصحيح إذن.

- خمني.
- 21.
- أصغر.
- 20

- لا
- كم إذن ؟
- 17

نظرت نظرة تعجب وقالت:

- تبدو أكبر من سنك.
- ماذا عنك ؟
- 15 سنة.

وصمتنا، تابعنا العرض لدقيقة، شعرت أن طريقي سيردم، عاودت الحديث:

- أكره الأفراح، هي مكان للنفاق والنميمة والحسد، كيف يطيب لرجل أن يجلس بزوجته أمام 500 مدعو نصفهم رجال يتمنون الجلوس مكانه أو يتبادلون التعليقات حول زوجته وجمالها، والنصف الآخر فتيات يحاولن اكتشاف أي غلطة في العروس سواء في زينتها أو فستانها أو حتى حركاتها وتصرفاتها !

ابتسمت ابتسامة من يعجب مما يسمعه، لكنها أمنت على كلامي:

- ربما معك الحق، أنا أيضا أكره استعراضات الأفراح، لكنني أحب الباليه، لذا تجدني هنا.

تجاوبت سريعا:

- أعشق الباليه، لا أتابع غيره والجمباز بالأولمبياد..

ثم ملقيا بسهمي:

- لاأذكر من الذي قال أن الرقص هو تعبير رأسي عن علاقة أفقية.

نظرت لي باندهاش، لوهلة خلت انها لم تفهم ما أعنيه، تظاهرَت بالشرود، ثم تظاهرت بأنها تنبهت لانسحاب زميلاتها بعد انتهاء العرض، همت ان تلحق بهم راكضة تلك الركضة الأخاذة على أطراف الأصابع، غير أني استوقفتها:

- يمنى.. أريد رقم هاتفك.

وقفت مترددة لحظة، ثم قالته بتعجل ولحقت بزميلاتها.

اخرجت هاتفي المحمول، دونت رقمها وأرسلت لها رسالة قصيرة أخبرها فيها برقمي وأني انتظر منها مكالمة قريبة.



(الفصل الثاني)

"القراءة فعل باريسي"

(عصام زكريا)



(1)

الحدث الذي لن أنساه، زلزلني..

ذهبت للمدرسة صباح الأحد، كان الطلاب في حالة هرج وهياج عقب فوز الأهلي الكاسح على الزمالك، رايات الأهلي والقمصان الحمراء طغت على المدرسة، بل أن الكثير من الطلاب المنتمين لنادي الزمالك تغيبوا عن المدرسة، حتى حوت الدروس الخصوصية مستر هشام لم يشرح الحصة وأعطانا حصة فراغ احتفالا بفوز الأهلي، وبعد برهة غادر الفصل مكتفيا بتعيين (عريف) على الفصل، أفلت زمام الامور بعد بضع دقائق، كنت مشغولا بكتابة رسالة على هاتفي المحمول عندما سمعت الهتاف قادما من مؤخرة الفصل بصوت جماعي (كشف حمامة.. كشف حمامة)، التفت إثر وقع الجملة الغريب على مسامعي، وجدت مجموعة من الطلاب يمسكون بطالب ضئيل الحجم، تحلقوا حوله وكتفوه بسواعدهم، قام أحد الطلاب بحل حزام بنطال الطالب الرهينة، ثم نزع البنطال، ومن ثم نزع الـ (أندر وير)، وأخذ بعض الأشقياء يضربونه على مؤخرته أو يعابثون محرماته، والفتى المسكين يرفس ويقاوم، لكن هيهات دون جدوى، تفصد عرقا واحمر وجهه والهياج الجماعي مستمر، فجأة فُتح باب الفصل ودخل طالب آخر وصاح (مستر يحيى آتٍ)، وفي ثوان معدودة كان كل الطلاب في أماكنهم.

دخل الأخصائي الاجتماعي المشهور بقوته وعنفه في علاج أي مشكلة والتعامل معها، وجد الضحية جالسا على الأرض يبكي، اقترب منه وسأله وسط صمت الجميع:

- مالك ؟

نظر المسكين للأخصائي وهو ينهنه ولم يجب، ركله الأخصائي وقال بعنف:

- مالك يا (عِلق) ؟
- ضربوني.

قالها فندت ضحكتين خافتتين من الطلاب.

- تعال معي.

وقبض على تلابيبه وسحبه خارج الفصل.

(2)

عدت مذهولا مما رأيت، ظاهرة جديدة أكتشفها عن التعليم المصري، رفضت تناول غدائي ودخلت إلى غرفتي وبكيت، مساءا أخبرت أبي أنني أرغب في العودة إلى الإمارات حيث ولدت ونشأت، رفض، ألححت، سألني عن سبب التحول المفاجئ، حكيت له ما جرى، هدأ من روعي، وراح يحدثني عن أننا مقبلون على حياة جديدة وأنه علي أن أنسى الإمارات تماما، ثم أجرى مكالمة هاتفية مع قريبي الموجه، قال لي عقبها

- اذهب غدا لعيادة المدرسة واعرف من الدكتور مكان عيادته الخاصة.

(3)

اتصلت يمنى أخيرا، كنت مستعدا جيدا لهذه المكالمة، أعرف هدفي منهـا، لن أفصح عن نواياي، فقط كل المطلوب هو اكتساب أرض داخل تلك الفتاة، حدثتني عن والديها، مدرستها، صديقاتها، كلمتها انا عن حيـاتي بالإمـارات و أصدقائي، سألتني:

- وكيف تقضي وقت فراغك هنا ؟
- أقرأ أو أتابع التلفزيون.
- تقرأ ؟ ماذا تقرأ ؟
- أقرأ كتابات د.أحمد خالد توفيـق، ذاك الرجـل مميـز ومختلـف وكتاباتـه مسلية، لكنني مـؤخرا بـدأت أتجـه لكتابـات ثقيلـة كروايـات نجيـب محفوظ و قصص يوسف إدريس و أشعار نزار.
- أنت غريب حقا.
- لم ؟
- قليلون هم الشباب الذين أعرفهم وتستهويهم القراءة، أغلـبهم يحبـون الكرة والخروج والتسكع في الـ (مـولات).ومغازلـة الفتيـات ومـا إلى هنالك.
- فماذا تفعلين إذن إن أخبرتك أني أكتب أيضا ؟!
- حقا ؟ ماذا تكتب ؟
- قصصا وخواطر
- أنت غريب.
- وأنت صوتك يقتلني !

اصطحبني أبي إلى عيادة د.كمال، بمجرد أن رآني الدكتور تذكرني، عرفه أبي بنفسه، تبادلا فاصلا من المجاملات الصفراء، لايحق لك في هذه المدينة أن تبدأ كلامك دون مجاملات ومناورات وتمهيدات، وإلا تكون غير لبق !

بعد الديباجة دخل أبي في الموضوع:

- الولد لا يريد الذهاب إلى المدرسة، مصدوم من الفارق بين التعليم هناك بالإمارات وهنا.

ابتسم الدكتور بارتباك، خجلت أنا من صراحة أبي، ما هكذا تدار الأمور في مصر، سمِ الأشياء بمسميات مهذبة تنل ما شئت.

بادره الدكتور بخبرة متواطئ مخضرم:

- يبدو شاحبا، سأقيس ضغطه.

تناول الرجل ذراعي، وبابتسامته اللزجة قاس ضغطي، نظر لأبي وتحدث بجدية:

- **130** على **90**، ضغطه مرتفع، هذه حالة اكتئاب، سأعطيه إجازة لمدة أسبوع يعاودني بعدها للمراجعة.

خرجت من الغرفة تاركا المجال سانحا للرجلين لإتمام صفقتهما، لحق بي أبي عند باب العيادة، بدا حانقا، هبطنا السلالم، وركبنا السيارة وانطلقنا، على الطريق الدائري كسرت الصمت وسألته:

- كم أعطيته ؟

- 50 جنيه نظير كذبة، ها قد جاء العصر الذي يتقاضى فيه الكاذبون

أتعابا عن كذباتهم.

صمتُ، دس شريطا في الكاسيت، هاجمنا صوت ناظم الغزالي الدافئ:

قلتلها يا حلوة اورويني...عطشان مية اسقيني

قالتلي روح يا مسكين...قالتلي روح يا مسكين

ماينا ما تروي العطشان

اندمجت مع الأغنية متفاديا مثالية أبي المجروحة وسخطه مما جرى، لكنـي وجدت نفسي أشق السكوت مجددا لأسأله:

- لماذا تصدر السيارات القادمة من الاتجاه المقابل هذه الأنوار المتقطعـة يـا بابا؟

أطفأ سيجارته في المنفضة، أخذ شهيقا عميقا ثم قال:

- هذه ظاهرة لا أدري كـم عمرهـا بالـضبط، لكنهـا جـديرة بالدراسـة، هؤلاء القادمون من ذات الجهة التي نقصدها يحذروننا من وجـود لجنـة مرور على طريقنا.
- غريبة ! وكيف تم هذا الاتفاق أو ظهر هذا العرف ؟ وما مصلحتهم؟
- أما الأولى فلا إجابة واضحة لـدي عنهـا، وأمـا الثانيـة فهـي باختـصار مسألة مصلحة متبادلة، يحذرونك هم اليوم، تحذرهم أنت غدا.
- وهل تفعل أنت ذلك ؟
- لا، أنا لا أحتاج تحـذيراتهم، أربـط حزامـي دومـا ولا أتجـاوز الـسرعة المحددة، وبالتـالي لـست مـدينا لهـم بـشيء، ولا أظـن أن هـذا سـلوك صائب.
- هاهي اللجنة.

كان المكان مزدحما والسيارات تتحرك ببطء ولزوجة، أغلق أبي الكاسيت وفتح النوافذ وأخذ يدندن إلى أن وصلنا حيث أمين الشرطة، ناوله أبي الرخص، عاينها الرجل وطابق بين الصورة وأبي، عاد للنظر مجددا إلى السيارة وأبي ولي، ثم اتجه إلى ضابط يجلس أمام غرفة قريبة، تبادلا كلمتين قبل أن يعود ويوجه كلامه لأبي:

- أين طفاية الحريق خاصتك ؟

ارتبك أبي لوهلة، ثم خلع نظارته، مسح زوايا عينيه وقال:

- لا أملك واحدة.

نظر الأمين للضابط نظرة ظفر ثم قال:

- إذن صف سيارتك هنا وتوجه إلى (إسلام باشا).

هبط أبي لمقابلة إسلام باشا وعاد والضيق بادٍ عليه، قال وهو يلقي بورقة بيضاء على تابلوه السيارة:

- سحبوا الرخص وحرروا مخالفة !

(5)

و أنا واقف أمام حديقة (الميريلاند) تذكرت أن هناك3 شهور باقية على الامتحانات، 3 شهور فقط، وأنا منهمك في حياتي الجديدة، لا أفعل شيء سوى مراقبة هذه البلد والقراءة ويمنى !

يمنى يا صغيرتي.. عذبتك أنا كثيرا معي، لكن ماحيلتي وأنا لا أتعلم كيف أعامل النساء من سواكِ، أنت وقراءاتي فقط، فأنت المرأة الأولى بحياتي

بعد أمي، دعيني إذن أنهل العسل من نبعه.. وسأكون مدينا لك بشئ ما، ومدينا أيضا لأحلام مستغانمي التي ساعدتني نوعا ما على فهمك، فقد قرأت في روايتها (عابر سرير) فقرة صارت نبراسي، حتى أني اشتريت دفترا ودونت فيها تلك المقولة، وقررت أن أدون في ذاك الدفتر أي شيء أقرأه ويعجبني، كانت الجملة تقول:

"راح بمزاح لا يخلو من الجدية يوضح لي ما يعتقده شبها بين نوعية الأبواب ومايقابلها من أجناس النساء. فهو يرى الأوروبيات مثلا، كالأبواب الزجاجية للمحلات العصرية التي تنفتح حال اقترابك منها، بينما تشهر العربيات في وجهك وقارهن كأبواب خشبية سميكة لمجرد إيهامك أنهن منيعات ومحصنات. وثمة من حتى لا تستسهلهن، يتبعن بطء الأبواب اللولبية الزجاجية للفنادق التي تدور بك دورة كاملة كي تجتاز عتبة كان يمكن أن تجتازها بخطوة ! وأخريات يحتمين بباب عصري مصفح، كثير الأقفال والألسنة، ولكنهن يتركن لك المفتاح تحت دواسة الباب.. كما عن غير قصد".

المرة الأولى التي طلبت فيها من يمنى أن تقابلني، وافقت بعد تردد، عن نفسي كنت حائرا ولا أدري إلى أين أصحبها، طلبت منها أن نتقابل في مقهى **Cilantro** في شارع جامعة الدول، وصلت هي متأخرة عن موعدها بربع ساعة تقريبا، كانت مرتبكة، ومتأنقة، عندما دققت في ملامحها اكتشفت كم هي صغيرة، لم يغير اكتشافي هذا شيئا داخلي، كنت قد قررت أن تلك الفتاة صارت ملكا خاصا لي، حاولت معالجة ارتباكي والخروج من دائرة الاسئلة الفارغة، كنت أريد ان نعاود الكلام حول أمور حميمية مثلما كنا نتحدث

هاتفيا، لماذا تكون الأمور في الواقع أصعب من مجرد الحديث عنهـا ؟ كـان ذاك أول أمر تعلمته، عندما تقابل فتاة كنت تحادثها هاتفيا فقط، احتفظ لحظة اللقاء بذات مستوى الحديث الذي دار بينكما على الهاتف، كن دائما مبـادرا بكـسر أي أمر قد يعيق تقدم جيوشك..

تحدثنا كثيرا في لقائنا الأول، وختمت حديثي بعرض جـاد لهـا أن نتقابـل بعد يومين ونذهب سويا إلى (الميريلاند)، ووافقت.

وكعادتها - في اليوم الذي اتفقنا عليه - ظهرت بعد موعدنا بربع سـاعة، صافحتها لكني لم أتخل عن يدها، أبقيتها في كفي وقطعـت تـذكرتين ودخلنـا، كان المكان يعج بالعشاق الصغار، والكبار أيضا، جعلنا نتجول وهي لا تكـف عن الحديث حول فريق الباليه الذي تنتمـي لـه وإعجـاب زميلاتهـا في الفريـق بالمدرب، كنت أستمع لها بنـصف وعـي لانـشغالي بالبحـث عـن مكـان آمـن أستطيع فيه أن أفعل كما يفعل كل من يرتاد هذا المكان الـذي وصـلت سـمعته لكل قاهري كأحد أشهر مخابئ العـشاق في المدينـة، (إن كنـت لا تملـك مكانـا للحب، ولا تملك مالا للذهاب لبيوت البغاء، فاذهب إلى الميريلاند)، نـصيحة سمعتها من شقيق أحد أصدقائي المصريين بالإمارات.

جلسنا على العشب بعـد أن اشـترينا بعـض الـشطائر، راحـت تـداعبني وتطعمني بيديها، كنت - حتى وأنا آكل - أفتش عن مكان آمن أو (مُكنـة) - كما قال لي الصديق المصري - وفي ذات الوقت كنت مشغولا بتمهيـد الطريـق لجسد الفتاة، فلم أكف عن الملامسات التي كانت تحـصل وكأنهـا عفويـة غـير مقصودة، ولم تعترض صغيرتي، صارت شهوتي أكبر من التحمـل، فاسـتأذنتها

في الذهاب إلى الحمام، وقمت مسرعا بجولة صغيرة حولي باحثا عن المكان الآمن، وبعد حوالي الخمس دقائق، اكتشفت أن المكان كله دون أي استثناء (مُكنة)، كل زوج من العشاق الصغار يختارون مكانا هادئا ويطلقون لأنفسهم العنان، لذا أسرعت عائدا إليها، جلست لدقائق، وضعت يدي على يدها، ثم شرعت أفعل كما يفعل العشاق الصغار..

(6)

انطلقت لمكتبة الشروق بعد أن قصدت مكتبة مدبولي، كنت أبحث عن مجموعة كتب وجدت بعضها في مدبولي، فقررت أن أبحث عن الباقي في الشروق، (الحب في المنفى) نفدت عند مدبولي، وأنا صراحة منذ اشترى لي أبي رواية (نقطة النور) أصبت بهوس ببهاء طاهر، كم يتمتع بأسلوب عذب، (لا أحد ينام في الإسكندرية) قررت قراءتها عندما عرفت أن يمنى من أصول سكندرية، هل صحيح ما يقال عن بنات الإسكندرية ؟! لا يهم، ماذا بقي إذن على لائحتي ؟ أها.. (الخبز الحافي) والأعمال الكاملة لأمل دنقل، الأولى قرأت ما كتب عنها في ملف عن الرقابة نشر في الآداب البيروتية التي وقعت بين يدي مصادفة، وأمل دنقل صادفت قصيدته (لا تصالح) في إيميل Forward بعد الغزو الأمريكي لأفغانستان، وأعجبتني..

سمعت مقولة لغازي القصيبي شدتني: (على الكتاب أن يغذيني عقليـا، أو يثيرني جنسيا، أو يضحكني ليكون أهلا لمجالستي)، غير أنني أراها ناقـصة، وشخصيا أرى أن بالإضافة لما قيل، فعلى الكتاب أيضا أن يسليني أو يبكيني أو يساعدني في الحصول على مجموع في الثانوية العامة.. ليكون أهلا لمجالستي.

دخلت المكتبة وقررت أن أقوم بالبحث وحدي دون مـساعدة البـائعين، والاستمتاع بالتقاط عناوين كتب جديدة..

أسماء جديدة مرت مرور الكرام علي سأقرأ لهم لاحقا: إبراهيم الكـوني، تركي الحمد، مريد البرغوثي، أحمد مطـر.. أهـا.. أحمـد مطـر، أحـضرت مـن صديق لي بعض أشعاره على الكومبيوتر، مروع هذا الرجل، قلمه ينـزف دمـا، حسنا سأضعه على قائمتي أيضا وسآخذ كذلك روايـ..

- Excuse me

تنبهت على الصوت اللطيف خلف كتفي وأنا أقلب صفحات الكتـاب، نظـرت لأجـد فتـاة أجنبيـة في عقـدها الثالـث، وعينـين كـالمحيط، جاوبـت بإنجليزيتي الركيكة:

- Yes
- Where is merit's books ?

استغرقت ثانيتين لأترجم سؤالها، وحقيقة لم أكن أعلـم الإجابـة، لكنـي اجتهدت لأترجم لها ما أعتقدتـه إجابـة صـائبة عـن سـؤالها، وجعلـت أرص الكلمات متمهلا بين كل كلمة وأخرى كيلا أتلعثم:

- I think that.. it is not.. ammm not collected.. as..as one group in.. one aaa sh..i mean aa

وصنعت بيدي ما يشبه الرف، كانت تتابعني وشبح ابتسامة خافتـة عـلى شفتيها، قررت أن أوصل المعلومة كاملة لها، فأشرت بيدي تجاه الرف، قالت:

- Shelf.
- آه..yes.

باغتتني:

- متلهبتة.

حملقت لوهلة ثم ضحكت، وضحكت هي أيضا قلت لها:

- آه متلهبتة.

أشارت للكتاب في يدي، واستأذنت في أن تلقي نظرة عليه:

- can i...

مددت يدي وأنا أقول..

- أوف كورس.. بس دا عربي

نظرت لغلاف الكتاب وهي تتمتم (أحمد ماتار)..

أحمد ؟! آه يا أحمد لو تسمعها من هاتين الشفتين القاتلتين..

- أجل أحمد مطر.

فتحت الكتاب و فرت صفحاته سريعا، سألتني:

- أنت تُحب الشِـر ؟

الشِـر ؟ أهلا بكِ إذن يا فاتنة..

- أجل أحب الشعر..

مدت يدها مصافحة:

- انا سارة، أدرس الأدب الأربي بالـ AUC
- آسر.. آسر بحر
- بهر ؟ يور نيم إيز فيري بيوتيفول

قلت داخل حدود عقلي: يور ليبس آر مور بيوتيفول ذان ماي نيم.

- ثانك يو.

(الفصل الثالث)

"عيناكِ وتبغي وكحولي   والقدح العاشر أعماني"

(نزار قباني)

(1)

غضبت يمنى عندما أخبرتها عن سارة، والحقيقة أني كنت أتوقع غضبها، من هنا قررت أن أترك النار تأكل النار، وليس هناك ماهو أصعب على فتاة من فتاة أخرى تزاحمها، لـذا رفـضِت أن تقـابلني مجـددا، لم أهـتم ولم ألـح، هكـذا تساس الفتيات المصريات، يمنى - كما قالت أحلام - من الأبواب الخـشبية أو (الأرابيسك) لكنه أرابيسك خالي من الحرفة والـصنعة، النجـار الـذي صـنعه متأثر بالأبواب (الأبلاكاش) الضعيفة التي تصنع عـلى عجالـة، لـذا إن أردت تجاوز هذا النوع من الأبواب عليك ملامسته فقط أو دفعه دفعة بسيطة، وما إن ينفتح الباب، أدخل دون خوف ثم افعل ما يحلو لك..

(2)

نشرت أولى قصصي بمجلة شبابية، والـذي لم أتوقعـه إطلاقـا أن تحـدث هذه المحاولة البسيطة **Feedback** لا بأس به، تلا ذلك اتصال من سـكرتيرة تحرير المجلة بي، طلبوا منـي زيـارتهم، حـددوا يـوم الثلاثـاء موعـدا للزيـارة، توجهت يومها لمقر المجلة بالمعادي، كنـت أسـمع دومـا عـن المـستوى المـادي المرتفع لسكان ذلك الحي، لكن لم أتوقع هذا الفارق المروع في المـستوى المـادي ولاجتماعي والثقافي وحتى المستوى العمراني، الآن اقتنعـت بـما قالتـه لي سـارة

ذات مساء كنت أتحدث فيه معها عن طريق الانترنت، قالت لي: (القاهرة مدينة عنصرية).

دخلت مقر المجلة وطلبوا مني الانتظار ريثما تقابلني سكرتيرة التحرير، انتظرت في القاعة الفخمة، أخذت أتفحص المكان حولي، مقر المجلة عبارة عن شقتين واسعتين فتحتا على بعضيهما، أرضية باركيه وأبواب زجاجية وعدد وافر من أجهزة الكومبيوتر واللابتوب، السكرتيرة شابة حسناء ترتدي تنورة قصيرة تصل لركبتيها وتضع كم مهول من مساحيق التجميل، حتى الفراشين والسعاة أو الـ (office boys) كما يسمونهم هنا في المجلة يرتدون زي موحد مكون من بنطال أسود وقميص وردي، والغريب أنهم وكما الأفلام القديمة (أسوانجية) أو نوبيون، وكل هذا لا يهم، ما يهمني الآن هو أن أعرف سبب استدعائهم لي.

طلبت مني السكرتيرة التوجه لمقابلة سكرتيرة التحرير بعد انتظار عشر دقائق، دخلت مكتبها، مكتب فخم جدا وقطع الأثاث فيه أنيقة للغاية، كتلك التي نراها في الأفلام الأمريكية.

- كيف حالك ؟
- الحمدلله
- سيد آسر، قصتك كانت جميلة للغاية واستمتعت وأنا أقرأها، وقد أرسل القراء إيميلات كثيرة يعلقون فيها على القصة، لذا نعرض عليك الانضمام لنا لتكتب معنا.
- هذا شيء يشرفني.

- جيد، نحن هنا في المجلة نعتمد على الشباب الصغير الموهوب مثلك من طلاب المدارس والجامعات، نجري اجتماعا كل أسبوعين لنتناقش فيما سننشره، وأنا اقترح عليك أن تنضم لصفحة الأدب، ننشر فيها قصصا وأشعارا وخواطر، فما رأيك ؟
- وما الصفحات الأخرى الموجودة ؟
- ممم.. الرياضة والسينما والموسيقى والتحقيقات والموضة..
- جميل جدا، متى سيكون الاجتماع القادم لصفحة الأدب ؟
- قبل الاتفاق على موعد الاجتماع، أحب أن أنبهك لنقطة مهمة، أنت نشرت القصة كقارئ، لذا لم تتقاض مقابلا ماديا.
- صحيح.
- والآن أنت محرر معنا، لكن هذا أيضا لن يجعلك تتقاضى مقابلا،العمل هنا تطوعي، هذه سياسة المجلة، نحن نعطي الشباب متنفسا للنشر، ونصقل خبراتكم، وأنتم تعطون المجلة مجهودكم..

قلت باندهاش كتمته داخلي:

- المكسب المادي لا يهمني.
- إذن اتفقنا.

(3)

هل جاءت دعوة سارة لي لزيارتها متأخرة ؟

لا أدري، ولا يهم، المهم أن هـذا حـصل بالفعـل، حـصل بعـدما بـذلت مجهودات كبيرة لأصل لهدفي، استشرت الأصدقاء الأكثر درايـة، كنـت أنتقـي النصائح التي أراها ستحدث فارقا مع الكيـان الـشمالي الغريـب، قـال لي دون جوان المجلة المثل المصري الشهير (حب البت تركبك، اركـب البـت تحبـك)، جربت الثقل لفترة لكني تراجعت، الثقافة الـشعبية هـذي هـي نتـاج خـبرات شعبية أيضا، وقيادة (الحنطور) تخالف تماما قيـادة سـيارة أوتوماتيـك أحـدث موديل..

لا أعرف أحدا يمتلك خبرات مع الشماليات، لكني قرأت كثيرا عـنهن، لابد أن هناك شيء مشترك بين فتيات الأرض قاطبة، لـذا كنـت أجعلهـا هـي وحياتها محور حديثنا سواء عبر الإنترنت أو عـلى الهـاتف أو في المـرات القليلـة التي تقابلنا فيها بعد تعارفنا في المكتبة، لكـن العامـل الـذي صـنع معـي فارقـا حقيقيا كانت النصيحة الأجمـل حيـال الـشماليات، كلـمات كتبتهـا في أجنـدتي الخاصة فور قراءتي لها: (كانت لندن خارجـة مـن وطـأة العهـد الفيكتـوري، عرفت حانات تشيلسي، وأندية هامبستد، ومنتديات بلومزبري. أقـرأ الـشعر، وأتحدث في الدين والفلسفة، و أنقـد الرسـم، وأقـول كلامـا عـن روحانيـات الشرق. أفعل كل شيء حتى أدخل المرأة في فراشي).

هكذا قال الطيب صالح في (موسم الهجرة إلى الشمال)، صحيح أني لا أبغي ما كان يبغيه "مصطفى سعيد"، لكني على الأقل أحاول الاقتراب دون تنفير، لذا ما إن أغلقت سارة الهاتف معي، دخلت إلى الانترنت، اتجهت لموقع الـ **dating tips** للمعلم الأعظم **David Deangelo**، هؤلاء هم الأمريكيون، يبيعون أي شيء وكل شيء.

اخترت العنوان **The kiss test** قرأت الموضوع وفهمته جيدا: إذا تركتني أعابث خصلات شعرها وأمرر راحتي عليه فهذا يعني أنه بوسعي أن أقبلها ولن تعارض، جميل جدا، بقي أمر واحد لازال يحيرني، ماذا أجلب لها معي كهدية ؟ أراهم في الأفلام الأمريكية يشترون زجاجة نبيذ ، لكني أود أن أشتري لها كتابا ما..

وهذه أيضا لا تهم، لا زال أمامي أسبوع كامل.

(4)

عدت للمدرسة مجددا، هذا مكان لا أدخله إلا مرغما، قال لي أحد أصدقائي وهو في إجازة سريعة في فترة تجنيده (في بلدنا ثمة أماكن لا يذهب إليها العقلاء إلا مرغمين: الجيش، قسم الشرطة، المصالح الحكومية و المواصلات في الصباح وبعد الثانية ظهرا)، وأنا أضيف لما سبق (المدرسة)، بين جدران المدرسة أشعر أنني مسجون مع حفنة معاتيه وبعض الأشرار الكبار،

وكالعادة مدارس القاهرة من الداخل مشابهة تماما للقاهرة من الخارج: ازدحام بشع - رغم كمية الغياب غير الطبيعية - اتساخ وإهمال وجشع المدرسين وسماجة الطلاب وبنية تحتية شبه منعدمة.. إنها الجحيم.

بعد الحصة الثانية طفح الكيل، لم أعد قادرا على تحمل البقاء، شعرت أنني صلبت وتم صعقي بتيار كهربائي مباشر من السد العالي، لذا اتجهت إلى (محمد الصعيدي)، فتوة الفصل والبلطجي الأكبر فيه، قصدته لأني أعلم مدى جبروته وسلطته، وأعلم أنه يكن لي احتراما مصدره هدوئي الدائم ومشاركتي المعتادة مع الأساتذة، لذا لم أجد سواه لأحكي له وأطلب عونه، شرحت له الوضع، كانت علائم القرف مرتسمة على وجهي، سحبني من يدي وتوجهنا لسور المدرسة الواقع خلف أحد المباني الأربع بالمدرسة، سمعت أساطير عن هذا السور وعما يدور حوله. لدرجة أن أُطلق عليه لقب (تل أبيب).

وقفت جوار (الصعيدي) الذي أخذ ينادي على شخص يسمى (بودرة) بينما سرحت أنا متفحصا المكان، مكان هادئ به شباب يعيشون على الدخان، يشخرون، يسبون الدين ولايكفون عن التحرش ببعضهم البعض وهم يضحكون، وما إن ظهر هذا البودرة حتى بادر بالعرض:

- صراصير أم ترامادول يا صعيدي ؟

رفض الصعيدي عرضه و طلب منه ألا يأخذ مني إتاوة ويتركني أقفز من فوق السور دون (فِردة)، غير أني جذبت الصعيدي وهمست بأذنه:

- أي سور الذي سأقفز من فوقه ؟ أنا لا أقفز أسوارا.

- (بودرة) سيساعدك إن لم تستطع التسلق.
- يا عمي ولا بودرة ولا غيره.. ألا تملك حلا آخر ؟

هنا استأذن الصعيدي من بودرة وجذبني من يـدي وابتعـدنا عـن تلـك المنطقة الغريبة، تسللنا إلى منطقة الحمامات محاذرين أن يلمحنا مشرف الحـوش أو مستر يحيى كيلا نعـرض أنفـسنا لعقوبـة قاسـية. مـا إن وصـلنا إلى منطقـة الحمامات نظر لي وقال:

- أنا لم أكن أريد أن تتجه للحل المكلف، القفز من فـوق الـسور مـا كـان ليكلفك مليما واحدا.
- ربما كلفني بضع مئات من الجنيهات لأعـالج كـسورا سـتلحق بي بعـد القفزة.

علق ساخرا:

- يا توتو !

صمتُ، أكمل:

- هذا الحل سيكلفك (حِمِشة).
- حلو، لكن ما معنى حمشة ؟
- 5 جنود، 5 بلابل، 5 جنيهات يا خواجة.
- لا مشاكل مطلقا، لكن ماذا ستفعل ؟
- حاميها حراميها يا عم آسر، عم عبدالقادر البواب كلب فلوس.
- تمام، خذ، وخذ خمسة جنيهات آخرين لك.
- شكرا شكرا، لكني لست كلب فلوس.

ارتبكت، تجاوز هو الموقف سريعا:

- هات ليلي مراد.

نظرت بغباء، حاولت مسايرته كيلا يعاود سخريته مني، قلت مبتسما:

- ينفع أسمهان ؟

نظر لي بحدة:

- معك ؟

- عم تتحدث ؟ ماهو الذي معي ؟

- سجائر LM، رأيتك قبل الطابور ممسكا بعلبة.

ضحكت بصوت عالي، وضع يده على فمي، خرجت كلماتي من بين أصابعه:

- ليلي مراد معناها LM ؟

- من زمان، معك ؟

أعطيته العلبة كاملة واستبقيت لنفسي سيجارة واحدة، وضعها في جيبه وشدني تجاه البوابة، كنا نهرول نحوها، ظهر عم عبدالقادر بجلبابه الرث وشاربه الكثيف ونظارة سميكة بيد واحدة، سلم عليه الصعيدي، رد عم عبدالقادر السلام بسلام أوسخ منه (إزيك يا صعيدي يابن المتنـ..)

، ناوله الصعيدي سيجارة والجنيهات الخمس وأشار تجاهي وقال:

- هذا الرجل مريض و يريد أن يعود للمنزل.

رد البواب وهو يشعل السيجارة:

- لا، ألف سلامة يابني.

فتح البوابة، سلمت على الصعيدي وعم عبدالقادر وغادرت.

قضيت الوقت المتبقي على انتهاء اليوم الدراسي وموعد عودتي للمنزل بين تدخين الشيشة و مقهى الإنترنت، ومع موعد المغادرة قفلت عائدا للمنزل.

(5)

اعطيتها قنينة الـ (جيفاس) ما إن فتحت لي الباب، كنت قد سعيت وراءها في شتى (بازارات) الخمور، ولما طال سعيي وأوشك الأسبوع على الانقضاء، لجأت لصديق، غاب عني يوما واحدا وعاد بها باهظة الثمن، لا بأس طالما أن الشمالية الرقيقة هي من سيقاسمني جرعها.

دعتني للدخول، جميل منزل سارة، مصمم على الطريقة الغربية، أضواء خافتة ومطبخ مفتوح على قاعة الجلوس وتحف منثورة بعناية في أرجاء المكان، لوحات سيريالية وصور عتيقة معلقة في أماكن منتقاة على الجدران، وأجمل ما فيها هي تلك الكنبة الوثيرة الموضوعة أمام التلفاز العملاق، لا ينقصني سوى كيس (فشار) وأن تلقي هذه الحسناء برأسها على كتفي لأتخيل أننا في بنسلفينيا مثلا.

وآه من هذه الحسناء الشمالية، كانت ترتدي منامتها ذات اللون الأصفر الباهت، شعرها ملموم على شكل ذيل حصان،وغرة شيبتني تنساب على جبهتها لتعذبني، فقط لتعذبني، نظارتها الرقيقة الـ (فريملس) تجعلها أجمل

بكثير، مروعة الجمال هذه الفتاة، بعد أن دعتني للجلوس وشكرتني على القنينة همست وهي تتجه لغرفتها:

- كأنه منزلك تماما، دقيقة وأعود.

جلست حيث تركتني، ورحت أتأمل الصور على الجدران، كل صورة كتب في أسفلها اسم صاحبها، واحدة لإرنست همنجواي، وأخرى لنجيب محفوظ وثالثة لماركيز ورابعة لـ.. ياللهول، هذا إذن المتنبي، حتى أبا الطيب وصل إليك ؟! كم أنت شقية!!

- ما رأيك بالشقة ؟
- بالطبع رائعة، لكن لم المتنبي ؟
- قرأت الكثير من قصائده، ودرستها أيضا.
- وما رأيك إذن في الشعر العباسي ؟
- أووو آسر، رائع، ذاك كان أجمل عصور الشعر لديكم، حكمة و عشق وسياسة وفلسفة وقصائد حماسية ومدح وتصوف وإلحاد، حتى الهذيان كان له موقع في شعر تلك المرحلة.
- عن نفسي لم أقرأ من شعر تلك المرحلة سوى قصائد معدودة، لكن بالله عليك، اسمعيني بعضا مما تحفظين من شعر المتنبي.

كانت قد نهضت متجهة للمطبخ المقابل، تحادثني وهي تفتح القنينة وتسكب كأسين وتضع فيهما بعض قطع الثلج:

- لا أحفظ الكثير، لكني قرأت تلك القصيدة الجميلة التي يقول مطلعها (واحر قلباه..)، إلا أن أجمل الأبيات التي لفتت نظري بها هو الذي

يقول فيه (فإذا رأيت نيوب الليث بارزة، فلا تظنن أن الليث يبتسم)، أعجبني تعبيره.

- هو فعلا تعبير جميل.

جاءت وجلست جواري واعطتني كأسا:

- وأنت يا آسر، من تفضل من الشعراء العباسيين ؟
- حقيقة كما قلت لك لم أقرأ لهم كثيرا، لكنني قرأت على وجه الخصوص لأبي نواس
- آها، كان شاذا ذلك الرجل.
- يقال !
- هذا كلام موثوق فيه، له قصائد يتغزل فيها في الرجال.
- أغلب شعراء ذاك العصر تغزلوا في الرجال.
- ليس جميعهم، كما لو أنك بحثت في سيرته الذاتية ستتوالى القصص أمامك مثبتة أنه شاذ، كان له رفيق.
- ربما.

مددت يدي وسكبت كأسين آخرين، حقيقة كانت تلك المرة الأولى التي أعاقر فيها خمرا، لكني استعذبت طعمها.

- الآن دورك، ما الأبيات التي لفتت نظرك من شعر أبي نواس ؟

تلك الفتاة... حتى أصابع قدميها جميلة وصغيرة !

انتزعني سؤالها من جولة تخيلات صغيرة، أجبت:

- يقول في إحدى قصائده:

اخلع عذارك في الهوى   واشرب معتقة الدنان
وصل القبيح مجاهرا   فالعيش في وصل القيان
لا يـلـهـيـنـك غيرمـا   تهوى، فإن العـمـر فانِ

- لا أفهمها كلها، لم أفهم سوى البيت الأخير.
- يقول: في الحب كن جريئا، واشرب الخمر المعتقة، وافعل أي أمر غير مستحب وجاهر به، ثم ينصح بأن أجمل حياة هي تلك التي تكون في أحضان النساء وتحديدا الجواري، ثم البيت الأخير.
- أووو، أبو نواس إذن هو أول من أصّل للبوهيمية.
- ربما.

سكبت لي كأسا ثالثا، ثم أخرجت من جيب منامتها قطعة ألمونيوم صغيرة، حلتها وسألتني:

- معك بفرة ؟

بفرة ؟! هذا ما كنت أخشاه.

- سارة، أنا لا أدخن الحشيش.
- هيا يا آسر لا تكن طفلا، سنشرب سيجارة واحدة فقط.
- سارة أنا لا..

لكنها حسمت الجدال بقبلة صغيرة رقيقة على خدي..

(حشيش حشيش إذن لا بأس إذا كانت هذه القبلة بداية موسم الحصاد) هكذا فكرت، نزلت لأشتري بفرة، كان الهواء باردا نوعا ما، لكنني أتفصد عرقا، ثم لماذا كانت أضواء أعمدة النور ترهق عيني ؟ لماذا أصلا الأنوار

مبعثرة هكذا ؟ إذا كان هذا هو السكر فأمره هين. اشتريت بفرة ماركة (Bob Marley) وعدت أدراجي.

فتحت لي الباب، لكن بمظهر جديد هذه المرة، حلت شعرها، وارتدت شورتا وفانلة ضيقة داهمني من خلالها ثدياها الصغيران، لماذا تكون صدور الأوربيات دائما صغيرة ؟ لا يهم..

أعطيتها البفرة، سكبت لنفسي كأسا، داهمني جوع، مما جعل معدتي تصدر أصواتا، سمعتها هي، طلبت مني أن أتوجه إلى المطبخ وأتعامل بشكل طبيعي، نهضت، فتحت الثلاجة، أعددت شطيرة جبن، لفت نظري كم كبير من قصاصات الورق ألصقتها سارة على باب الثلاجة، قرأت اثنتين ربما أو ثلاث، كل واحدة بها حكمة أو اقتباس عن أحد المشاهير، أطولهم - والتي كتبت بخط صغير جدا - و أقصرهم هما اللذان لفتا نظري، كُتب على القصاصة الأكبر:

(بعض الفضائل الكبرى لا تستطيع أن تتعايش بعضها مع بعض. هذه حقيقة مفهومية، قدرنا أن نختار، وكل اختيار قد تتبعه خسارة لا تعوض، هنيئا لأولئك الذين ينصاعون طوعا إلى أوامر القادة الروحيين أو الدنيويين، الذين تعتبر كلماتهم بمثابة قوانين لا تمس، أولئك الذين توصلوا بأساليبهم الخاصة إلى قناعات واضحة ومتينة حول ما الذي يفعلونه وما الذي يكونونه، قناعات لا يرقى إليها أدنى شك. أكتفي بالقول أن أولئك الذين يرتاحون فوق مثل هذه الأرائك العقائدية المريحة هم ضحايا لأشكال من قصر النظر المستحب، على أعينهم غشاوات قد تساعد على التوصل إلى القناعة، لكنها لن

تساعد على إدراك مغزى أن يكونوا بشرا ـــ إيزيا برلين / نسيج الإنسان الفاسد).

أما الأقصر فكانت تقول: (بالمال يستطيع الإنسان أن ينكح العالم ـــ محمد شكري/ الخبز الحافي).

كنت انتهيت من أكل شطيرة الجبن فعدت، أشعَلَت هي الجوينت، جذبت بضعة أنفاس ثم ناولتني إياه، وسكبت كأسين آخرين، بيمناي أمسك الكأس وباليسرى السيجارة، جذبت النفس الأول، كان حادا جدا ويجرح حلقي، سعلت قليلا ودمعت عيناي، ابتسمت هي وشرعت تغني، لم استطع أن التقطت اللغة التي كانت تغني بها، ولم أستطع سوى أن أجذب نفسا آخرا،طلبت مني هي أن أكتمه في صدري أطول مدة ممكنة حتى كادت رئتاي أن يتمزقا، أعطيتها السيجارة وعدت لكأسي أشربه، فرغت منه ثم نهضت وأشعلت التلفاز، كانت تجلس جواري ترشف رشفة ثم تسحب نفسا ومن ثم تطالعني وهي تنفث الدخان تجاهي وتضحك، كنت أحاول أن أتمالك نفسي وأضبط حركاتي، شعرت بثقل هائل في رأسي، وددت لو أسندها على الكنبة وأنام، لكني تحكمت بنفسي وبقيت متزنا.. فكرت أن أفتح معها حديثا كي أتمسك بالبقية الباقية من تركيزي:

- سارة، لماذا قلتِ لي مرة أن القاهرة مدينة عنصرية ؟
- آها، أنت إذن تختار أن تسمع رأيي في عاصمتكم الغريبة، وبالتالي عليك ألا تغضب.
- لا تكترثي لكوني قاهري وخبريني.

- يا حبيبي، مدينتكم هذه قحبة عجوز لاتفتح ساقيها إلا للأثرياء وذوي السلطة والسطوة والأجانب، ثلاث فئات صادف أني أنتمي لواحدة منهم.

ثم مادة يدها بكأس آخر من زجاجة جديدة، كان السائل الذي في الكأس شفافا:

- إليك بعض الفودكا أولا، اسمع يا عزيزي، إذا كنت تملك مالا أو سطوة أو جواز سفر أجنبي تكن القاهرة جنتك، وإذا كنت خارج هذا التصنيف فالقاهرة جحيمك، رأيت الأمن يفتش المصريين عند دخول المتحف مثلا بينما دخلت انا وكأنني وصيفة كليوباترا، رأيت بعيني أسر تقيم في بيوت من الطين والحجارة الحمراء ورأيت قصورا، رأيت الحنطور والكارو وكذلك الجاجوار والماكلارين والهامر، رأيت أدباء وعلماء وأطباء ذائعي الصيت، ورأيت شحاذين بعدد شعر رأسي، و رعاة غنم.. تخيل! رعاة غنم !
- كل مدن العالم بها متناقضات: ثراء وفقر.
- ليس بهذا التباين البشع، المدينة التي بها أرض الجولف والمعادي والريف الأوروبي، هي ذات المدينة التي يقع فيها حكر أبو دومة والكنيِّسة وتل العقارب، أي تناقض ؟! أي فجوة ؟ بالله عليك أخبرني عن مدينة بها مثل هذا التناقض السافر، أنت تقول أنك كنت بمدينة العين، هل ثمة تناقض هناك بهذه الدرجة ؟

سمعت أسماء أحياء لم أكن قد سمعت بها من قبل،لذا آثرت المهادنة فأجبت بتردد وأنا أعيد لها الجوينت:

- صراحة لا.
- هل أدركت لم أقول عن القاهرة مدينة عنصرية ؟

هززت رأسي إيجابا وصمت، صمتت هي أيضا وعادت تغني وتتمايل برأسها، بدأت تصفر وتضم شفتيها، أخذت انا أركز مجددا كي لا أفقد وعيي أو تركيزي من هذا الكم الهائل من الشراب عندما نهضت هي ونظرت لي بعينين حمراوين، ثم مدت يدها وأمسكت راحتي برفق وقالت:

- ها قد شربت معتقة الدنان، فمتى تخلع عذارك في الهوى؟

وجذبتني تجاه غرفتها..

(6)

هذا وطن الوعود المهدرة..

سائق التاكسي أبى إلا أن ينقض اتفاقنا ويزيد أجرته خمسة جنيهات.. لم أرفض، كنت في حالة لا أرغب معها سوى أن أتقيأ ثم آوي إلى فراشي لأنام، وطبعا كنت أتمنى عدم مواجهة أبي وأنا بهذه الحالة، توقفت عند صيدلية قرب المنزل واشتريت قنينة قطرة (بروزولين)، وفي شارع جانبي مظلم وضعت قطرتين في كل عين وأخذت أتمشى لمدة **5** دقائق حتى أترك فرصة لعيني لاستعادة لونها الطبيعي، وتوجهت للمنزل، كان الجميع نياما، حمدت الله،

قصدت المطبخ - رغم آلام بطني ورغبتي في التقيؤ - وأفرغت أحشاء الثلاجة وجعلت افترس كل ما أقابله، أخذت بضعة أطباق على صينية وتوجهت إلى التلفزيون، تلقائيا اخترت أول فيلم واجهني، كانت البطولة فيه لنادية الجندي، تابعته بشغف، قبيل آذان الفجر بدقائق استيقظ أبي، سلم علي وجلس معي بضعة دقائق تابع الفيلم قليلا، نظر حيث الأطباق الفارغة، وجد بقايا السمكة المشوية إلى جوارها صحن محشي لم يبق به سوى بقايا يسيرة وقطعة بسبوسة، قبل أن ينهض قال بسخرية:

- تفو على ذوقك..

انفجرت من الضحك، قاطعني:

- ستذهب إلى المدرسة الأسبوع القادم كله إلى أن أدبر لك إجازة أخرى، لم يعد باقيا على الامتحانات سوى أيام معدودة، اذهب واعرف موقفك من الغياب وهل تم فصلك وما إلى هنالك..
- حاضر.
- واخفض صوت التلفاز.
- حاضر.
- وصل الفجر.
- حاضر.
- تصبح على خير.

ودخل غرفته لينام !

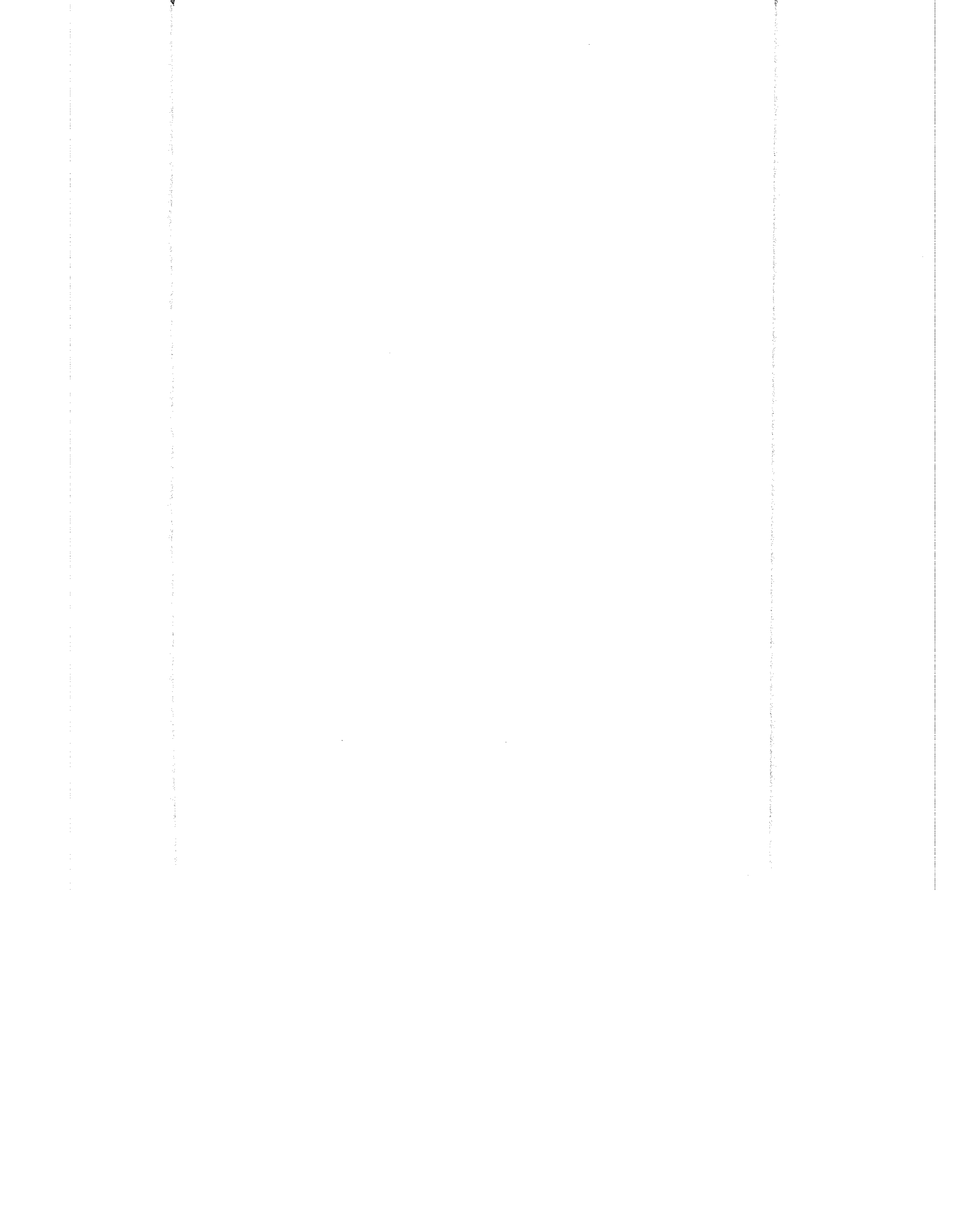
لم أكن أعرف على أي اختياراتي بصق أبي بصقته الافتراضية، لكني آثرت أن أعمل برغبته وذوقه، فتوقفت عن الطعام، خاصة وأن الآلام زادت بشدة، و نهضت جوار التلفاز لأخفض الصوت وأغير القناة التي تذيع الفيلم، ما أن ضغطت على الزر حتى قفزت أمامي قناة الجزيرة صحبة تقرير عن القمة العربية المعقودة بمصر.

غلبتني معدتي وتقيأت على الشاشة.

(الفصل الرابع)

"من المجازفة أن تمتلك أي شيء: سيارة، حذاء، علبة سجائر. ليس هناك مايكفي من السيارات، والأحذية، والسجائر. ثمة أعداد غفيرة من الناس، وأشياء قليلة جدا. يجب توزيع الممتلكات، حتى تتاح الفرصة لكل إنسان أن يكون سعيدا مدة يوم واحد. هذه هي النظرية؛ تمسك بالنظرية وبما توفره النظرية من عزاء. إنها ليست شرا إنسانيا، بل نظام توزيع هائل، لا دخل للشفقة والرعب في أعمالها. هكذا ينبغي للمرء أن يرى الحياة في هذه البلد في وجهتها التخطيطية. وإلا أصيب بالجنون. سيارات، وأحذية ونساء أيضا. يجب أن يكون في النظام موضع لائق للنساء ولما يحدث لهن"

(ج.م.كويتزي- رواية خزي)



(1)

في ثاني اجتماع لي مع محرري صفحة الأدب بمجلتي الشبابية قابلته..

شخصية مدهشة وجميلة وجذابة.. يتمتع بخفة دم وسرعة بديهة وتعليقات كوميدية وكبرياء رائع، حتى غروره يا ربي جميل، هو شاعر المجلة ورجلها الأول، لفت نظري منذ بداية الاجتماع مستواه الثقافي وحضوره الطاغي وانسياق الجميع خلفه، عرفتني به سكرتيرة التحرير: (أمجد عيسى، مشرف صفحة الأدب) وهي تقدمني في الاجتماع للمحررين، كنت متوترا وخجلا، ما إن أخذت مكاني بينهم بعد مغادرة سكرتيرة التحرير حتى نظر لي وقال:

- أنت إذن صاحب القصة المنشورة بالعدد الأخير.

حاولت أن أتحلى ببعض الثقة، هززت رأسي إيجابا وقلت:

- أتمنى ان تكون قد أعجبتك.

- لا.

ألقاها في وجهي كالصفعة وهو ينظر لعيني، بحثت عما أقوله قبل أن يضحك:

- لا تقلق، أمازحك فقط، لقد أعجبتني القصة طبعا.

انبسطت ملامحي وابتسمت

- أووه، الحمدلله، كنت أظنك جادا.

- لا تقلق، قصتك جميلة وسعيد جدا بانضمامك لنا.
- أنا الأسعد.

ثم حول دفة الحديث وبدأ الاجتماع:

- يا جماعة هناك أمر لفت نظري وأريد أن أكتب عنه، هل هنـاك تعـارض بين الإسلام والجمال ؟

كان الحاضرون السبعة يتابعون حديثه، وعندما طـرح سـؤاله، انقبـضت ملامح البعض بينما قالت فتاة محجبة جالسة بعجالة:

- بالطبع لا.
- إذن ففسري لي اجماع النقاد على أن مستوى أشعار حـسان بـن ثابـت في الجاهلية أقوى من أشعاره في الإسلام ؟

همت بالرد، بيد أن أمجد أكمل:

- ولماذا اعتزل لبيد الشعر بعد أن أسلم ؟

تدخل شاب آخر يبدو صغيرا في السن:

- دون قطع كلامك يا أمجد، لكن لي سؤال لك يـا مـروة، بـم تفـسرين أن أقوى عصور الشعر العربي هو العصر العباسي الـذي اشـتهر بـالمجون والفسق حتى أن الخمور فيـه كانـت متاحـة ومباحـة للجميـع ؟ يليـه العصر الجاهلي بكل عيوبه، ثم العصر الحالي، ثم الأموي وأخيرا صـدر الإسلام ؟

ردت:

- هذا رأيك وتصنيفك يا عمرو.

رد أمجد:

- ما رأيك أنت يا آسر ؟

ارتبكت لوهلة، غير اني سرعان ما لملمت شتات نفسي وقلت:

- حقيقة لم أفكر بالموضوع من قبل، لكنني سمعت عن اعتراضات المشايخ على قول عبدالحليم (قدر أحمق الخطى)، وأنا التعبير أعجبني بصراحة ولا أظن أن الهدف منه كان الكفر مثلا، والأجمل منه كان بيت لفاروق جويدة (ولو أن إبليس يوما رآكِ لقبل عنيك ثم اهتدى)، لم أسمع تعليقات وآراء كثيرة حول هذا البيت، لكنه أعجبني بشدة، و..

قاطعتني:

- طبعا حرام.

رد أمجد

- تدافعين عن الإسلام وأنت لا تتبعين آدابه في الحديث.

- آسفة..

اشتد النقاش واحتدم، انفعلت مروة وشاب آخر من الحاضرين، ولحسم الموقف، قرر أمجد ان يجري تصويتا عما إذا كنا سنكتب تقريرا أو مقال عن تلك الفكرة، وجاء التصويت لصالح المعارضة بخمسة أصوات مقابل أصوات أمجد وعمرو وصوتي، فعاود أمجد المحاولة:

- وإن قلنا أننا سنكتب الموضوع من وجهة أوسع، الرقابة بجميع

أنواعها، رقابة المجتمع و الرقابة الذاتية ورقابة الأهل في البيوت على مايكتبه أبناءهم والرقيب السياسي والدين كرقيب ؟

ردت مروة:

- شخصيا لا أمانع، لكني لن أشارك.
- وأنا لن أشارك

قالها شاب وفتاة بصوت واحد.

نظر أمجد للباقين:

- وأنتم ؟

قبل الباقون المشاركة، وكنت واحدا منهم.

أكملنا الاجتماع، قرأ المحررون نصوصهم وقمنا بإجراء تصويت حول القصص والأشعار والخواطر التي وافقت الأغلبية عليها، ثم ختم أمجد الاجتماع وحدد **deadline**، وانفض السامر، تبعثر المحررون في أرجاء المجلة، بينما بقيت أنا وأمجد وعمرو بغرفة الاجتماع، تحدثنا عن الموضوع الذي اتفقنا أن نكتبه، انتقلنا بعدها لحديث عام في الأدب وقراءاتنا الأخيرة، أعطياني قائمة بأسماء كتب يرشحانها لي لأقرأها، لاحظت أن أمجد يميل للشعر ويعشق محمود درويش، بينما يفضل عمرو الأدب الغربي بشكل عام واللاتيني على وجه الخصوص.

بعد مضي نصف ساعة من إنتهاء الاجتماع عرض علي أمجد أن يوصلني بسيارته، وانطلقنا سويا.

(2)

بعد ما يقارب الشهر، مرت الامتحانات بسلام، لم يكن سلاما عادلا وشاملا كالذي نسمع عنه في النشرات، وفقت في بعض الامتحانات وجانبني التوفيق في البعض الآخر، خاصة المواد العلمية، كانت أوقاتا عصيبة بالنسبة لي هجرت فيها مجبرا أمورا عدة كانت هي محور حياتي، انقطعت عن المجلة مؤقتا بإذن من إدارتها، قللت من لقاءاتي مع سارة بأوقاتها الحلوة وحشيشها، انقطعت يمنى نهائيا عني لما أخبرتها عن سارة وكذلك بسبب انشغالها هي الأخرى بالامتحانات، حتى القراءة هجرتها ولم أقرأ منذ ما قبل الامتحانات بأسابيع أي شيء سوى الكتب المدرسية، كانت أياما شديدة الوطأة على نفسي، لكنها مرت والحمدلله، ووجدت نفسي وجها لوجه مع ثلاثة أشهر من الفراغ، سيتخللها نتيجة الثانوية التي أعول عليها كثيرا، إما أن أكسب رضا والدي فيحقق وعده ويرسلني لقضاء شهر في أي بلد أوروبي أختاره، وإما أن يكون نصيبي هو سخطه ونقمته فأحرم من الكثير من الامتيازات التي منحني إياها ويكون علي قضاء إجازة كئيبة داخل هذه المدينة الكئيبة.

لم أكن أملك خططا حول الإجازة، كل الذي كان يشغل تفكيري هو معاودة ما انقطعت عنه من قراءة وكتابة وحضور اجتماعات مجلتي الشبابية،

كما أنني قررت أنه يجب علي أن أوطد علاقاتي بأقاربي، وخاصة من هم في مثلي سني أو يقاربونه، لذا دعوت الجميع في حفل عيد ميلادي الثامن عشر.

(3)

لما استبد بي الملل، قررت أن أذهب لشراء صحف الغد وعلبة سجائر وربما الوقوف قليلا مع بعض الشباب في الشارع، كانت الساعة حينها الواحدة والنصف بعد منتصف الليل، نزلت، سلمت على الأصدقاء ووقفت معهم لدقائق، ثم انطلقت صوب بائع الصحف الذي يبعد حوالي خمس دقائق من المشي، عبرت الشارع الرئيسي ودلفت إلى شارع آخر جانبي طويل ومظلم، كان علي تجاوز الشارع المظلم حتى أصل لبائع الصحف، أشعلت السيجارة الأخيرة وأخذت أفكر: كيف تطبع صحف يكتب عليها أنها صحف يوم الخميس ونحن لانزال على قيد يوم الأربعاء ؟ صحيح أنني ذهبت لشراء الصحف والوقت رسميا ينتمي ليوم الخميس، لكننا لازلنا في الساعات الأولى من اليوم، فكيف تطبع تلك الصحف ؟ أي صحافة هذه ؟ صحف الغد التي تستشرف المستقبل ؟ أو صحف (الأخبار المعلبة) كما يسميها أبي، يكرهها بشدة وينعى لنا دوما حظ هذا البلد، قال لي ذات حزن: يابني: (الجزيرة أصدق أنباء من الصحف نشراتها الصدق غير صحافة الكذب) كنت أقلب الأمر في رأسي عندما ظهر من يبتغي أن (يقلبني) ككل، وضع يده على كتفي، فاستدرت تجاهه، خاطبني بلسان ثقيل:

- مساء الخير.
- مساء النور.
- لو سمحت، أنا من المنصورة، و لا أملك مالا، هلا ساعدتني من فضلك ؟

كنت قد رأيت الكثير من هؤلاء الذين فقدوا أموالهم أو يدعون فقدانها، وكان ردي الدائم عليهم (الله يسهل لك) أو (لا أملك مالا)، لذا دعوت له بالتسهيل دون اكتراث، وهممت بالانصراف عندما فوجئت به يمسكني من ذراعي بعنف:

- لكني سآخذ منك ما أريد يا نجم.

نفضت يدي لأتخلص من قبضته ورفعت صوتي عساه يصل لمار قريب فينجدني:

- قلت لا أملك مالا، الله يحرقكم.

باغتني بكف طبعه باقتدار مابين وجهي وعنقي، وبسرعة محترف أخرج موسى من فمه وثبته على يدي وقال:

- جميلة ساعتك، تلزمني، أصلي أم تايواني ؟

ثم جارحا يدي جرحا طفيفا:

- فلوسك يا ابن الزواني.

كنت مرعوبا ومدهوشا ومتألما من حد الموسى الذي حفر في يدي جرحا صغيرا، حاولت أن أتكلم غير أني عجزت، كنت أنقل بصري ما بين الموسى في يده وبين وجهه، كان عشرينيا كما أن عيناه كانتا حمراوين بشدة وملامحه

توحي بالبله، أدركت سريعا أنه غير طبيعي، منظره والشفرة على يدي شلا تفكيري، استخرجت حافظة نقودي ومددت يدي لأستخرج ورقة نقدية، لم يمهلني، انتزعها من يدي، واستخرج كل النقود، انتقى ورقتين فئة العشرين جنيه، وضعهما في جيبه، ألقى بالحافظة على الأرض ثم أمسكني من تلابيبي وقرب وجهه من وجهي وراح يتحدث بهمس كأنه فحيح:

- أتريد أن أطبع لك إشارة 111 على وجهك أم أكتب لك اسمي كتذكار ؟

رددت مرتعبا:

- لو..لو سمحت، أخذت ماتريد، إليك الساعة أيضا، أرجوك دعني أمضي..

ابتسم كاشفا عن أسنان تحولت للون البني:

- ياللبساطة!

ثم مضيفا وهو يترك ملابسي التي كادت تتمزق في قبضته وشاهرا سلاحه في وجهي مجددا:

- اقترب من الجدار واستدر وارفع يديك عاليا.

فعلت كما طلب مني وأنا فاقد القدرة تماما على النطق، الرعب شلني تماما، كان يقف خلفي حين سمعت صوت شيء وكأنه سحّابة تُحل، استجمعت شجاعتي وحاولت الاستفسار:

- ما..ذا سـ..سـ..ستفعل ؟

جاءني رده عمليا، دفع رأسي فارتطمت بالجدار الذي أواجهه وأمرني:

- اخرس.

لكني أدركت مراده عندما شعرت بالسائل الدافئ المقزز يهطل على بنطالي وظهري ومؤخرتي، شرع يتبول علي، تملكتني رعشة تحولت مع استمرار عقابه لي إلى ارتجاف هيستيري، كان ذاك هو أبشع شيء حدث لي على الإطلاق.

- إنت منين ياد ؟

ابتلعت ريقي وأجبت:

- من الهرم

- تحديدا ؟

- الأريزونا.

- تعرف خليل عدسة ؟

بدات صوتي يتهدج وشعرت بالغصة إياها في حلقي، حاولت أن أبقى متماسكا، أجبت

- خليل عدسة ؟ سمعت عنه.

- أنت مكرم لأجله.

صفعني كفا آخرا على عنقي ومن ثم جذبني وأدارني لأصبح مواجها له وجحظت عيناه وهو يقول بانفعال:

- اجرِ.

تناولت المحفظة وانطلقت كالهارب من الموت..

عدت للشارع على أنني اصطحبت بعض الشباب ورجعت باحثا عنه لعلي أعثر عليه، لكنه اختفى، فاتجهت للقسم وحررت محضرا بالحادثة ونقلت لهم الحوار بيني وبينه حرفيا ووصفته وأريتهم الجرح في كفي ثم عدت للمنزل.

لم أخبر والدي بما حدث، دخلت إلى الحمام، وقفت أمام المرآة، تحسست عنقي وكفي..

وبكيت..

(4)

من الصعب أن تداوي شرخا نفسيا بين ليلة وضحاها، والشرخ نتج عن حادث السرقة الذي قسمني، صرت أخشى السير ليلا، خاصة لو كنت وحيدا أو في مكان مظلم، لاعزاء لي في هذا البلد، الأمر الوحيد الذي هون علي هو ظهور النتيجة وحصولي على مجموع لا بأس به، صحيح أنه لم يرضِ أبي، لكنه كذلك لم يجلب علي سخطه، حصلت على 87 ٪ وكسور، وكان هذا المجموع بالنسبة لي جيدا، خاصة أن هناك فرصة للتعويض في الصف الثالث الثانوي، وإن كانت فرصتي قد تضاءلت في الالتحاق بكلية الإعلام، فإن فرصتي قائمة بقوة في الالتحاق بكلية الآداب قسم الإعلام.

دعوت سارة احتفالا بالنجاح والمجموع إلى أحد المطاعم في منطقة المهندسين، دوما تبدو سارة وكأنها حورية خارجة لتوها من أسطورة ما، يعجبني كل مافيها، شكلا ومضمونا، ويعجبني أكثر أنها لاتعاملني بناء على سني، كانت دوما تقول لي **what matters is the size of your**

heart، منذ اليوم الذي قابلتها فيه، وأنا حياتي (متلهبتـة) كـما تقـول، ربـاه.. حتى طريقة كلامها تأسرني.

تقابلنا ظهرا يومها، كان موعدنا قبيل سفرها لـديارها في إجـازة قـصيرة جدا بأيام، أكلنا وضحكنا وتحدثنا وتلـوت عليهـا قـصتي الجديـدة، لم ترقهـا، قالت لي وهي تشير إلى فقرة في القصة:

- قال سومرست موم: (لاتقل لي أن إسحق حـزين، لكـن اكتـب موقفـا يبين لي أن إسحق حزين)، القصة في مجملهـا جيـدة، لكـن هـذا الجـزء أشعرني أنك تستغبي القارئ، آسر، لا تحضر رضعة للقارئ.

لا أنكر أنني أحبطت نوعا ما، لكن كل هذا لا يهم وأنا برفقة هذا الملاك.

غادرنا المطعم واتجهنا إلى محل قريب يبيع شرائط الكاسيت واسـطوانات موسيقية، اشترت هي بعض الاسـطوانات، دعتنـي للـرقص عـلى أنغامهـا في منزلها، تحمست للفكرة، ركبت إلى جوارها وانطلقنا صوب منزلها..

قالت لي وهي تضع الاسطوانة في مشغل الاقراص:

- آها تذكرت.. أتذكر يوم تناقشنا عن أبي نواس إذا ماكان شاذا أم لا ؟
- نعم أذكر.
- عثرت على أشعار له تثبت ذلك.
- حقا ؟ أسمعيني إذن.

أشارت إلى تابلوه السيارة:

- أمامك..

تناولت الدفتر وشرعت أقرأ:

وعاذلـة تلـوم عـلى اصـطفائي غلامـا واضـحا مثـل المهـاة
وقالـت: قـد حرمـت ولم توفـق لطيـب هـوى وصـال الغانيـات
فقلت لهـا: جهلـتِ فليس مـثلي يخـادع نفـسه بالترهـات
أأختـار البحـار عـلى الـبراري وحيتانـا عـلى ظبـي الفـلاة ؟
دعينـي لاتلـوميني فـإني عـلى مـاتكرهين إلى المـمات
بـذا أوصى كتـاب الله فينـا بتفـضيل البنـين عـلى البنـات

ابتسمت وقلت:

- شاذ وملحد أيضا..

- اقرأ إذن الأبيات الأخرى، في الصفحة التالية.

قلبت الصفحة وعاودت النظر:

إنـما همتـي غـلام وسـؤلي ومطلبـي
خيبـت في خـودة رب راج مـخيـب
قلـت لمـا رأيتـها: اذهبـي أخـتِ واغـربي
اطلبـي لي مـؤاطرا واذهبـي أنـت تجتبـي
لـست مـا عـشت مـدخلا إصـبعي في جحـر عقـربِ

قلت وأنا أضحك:

- ياللبشاعة ! يقول سيدنا محمد: (كل أمتي معافاة إلا المجاهرين)..

- هذا هو شاعرك المفضل.
- ولنفترض أنه كذلك ؟
- ألا يمثل لك ذلك أي اختلاف ؟
- أبدا.

ثم واضعا يدي على فخذها:

- أنا فقط عاتب عليه لأنه قال (جحر عقرب) وهو ليس كذلك إطلاقا، لقد جانبه التوفيق، هو مخزن عسل.

ضحكت ورفَعَت يدي عن فخذها برفق قائلة:

- ألا تخشى قرص النحل ؟
- أنا لا أخاف في الحق لومة لائم

ضحكت مجددا وعقبت:

- وهل هذا هو الحق ؟
- هذا هو الحق والحقيقة التي حار الفلاسفة بحثا عنها..
- أوووه آسر، من أين تأتي بهذا الكلام ؟ آها صحيح، أنظر في آخر صفحة، سترى بيتا هو الكفر بعينه.

فتحت آخر صفحة، قرأت البيت وصعقت:

حياة، ثم موت، ثم بعث   حديث خرافة يا أم عمرو

- "أحة"

ضحكت من تعليقي، سألتها عن رأيها في البيت، ردت:

- no comment.

كنا قد وصلنا تقريبا، صفت سيارتها وصعدنا إلى شقتها، ما إن دخلنا - وحتى قبل أن تخلع حقيبة يدها - التقطت شفتي في قبلة طويلة بطعم السكر.

أرهقتني يومها، ما كل هذا النهم ؟ كلما انتهينا من نوبة، وجلسنا لنحتسي شيئا ما، حتى تعاود مداعبتي مجددا، فأنهض وأكرر الأمر مجددا، لم أكن أعلم أنها شبقة بهذه الدرجة.

فور فراغي من الموقعة الثالثة، وكنت مجهدا جدا.. قبلتني على وجنتي وهي تهمس:

- I love u baby.

(5)

أمريكا علقت تنورتها في مسمار
يدعى الشرق
ليس بفيتنام ولا كوريا
لكن الحق
مزق تنورتها جداً
فانكشف الساق المتعفن
والثوب انشق
لكن أمريكا لم تهتم
واندفع الدم

من موضع عفة أمريكا

واتسع الخرق

وتعامد قرص الشمس عليها

كى يكشف كل المستور

وقرأنا كل المسطور

واندهش الخلق

فقدت أمريكا عذريتها

وانفضحت

والسفلة قالوا-معذرة-:

أمريكا انفتحت وانفتحت

صارت تحتاج لبعض الرتق

مرت أيام...

بلغت بطنك أمريكا

كل البلدان

أمريكا أنجبت الشيطان

العين بها دود الدنيا

والأذن بها آلاف البق

وانفض السامر

أمريكا مازالت عذراء وبكرا

وغشاء بكارتها ينمو

لتخبئ ظلمته بئرا

فالباطل صار هو الدنيا

والحق اندق

أما أمريكا...قد خاطت

تلك التنورة...واحتاطت

وتفادت كل مسامير الدنيا

كي يوما لا ترشق

لكن وبلا قصد منها

تنورتها تعلق دوماً

في مسمار يدعى الشرق

أنهى أمجد آخر حرف بقصيدته الجديدة التي كتبها مع أول تهديد أطلقته أمريكا تجاه العراق، أسماها (ترقيع بسيط)، ثم نظر إلينا نظرة واثقة كأنه يقول (أعلم أنها أعجبتكم، لكن ما مدى انبهاركم بها ؟)

وللحق، فقد صفقت له كثيرا جدا، حتى أن عمرو نهض وقبل جبهة أمجد من فرط إعجابه بالقصيدة، أقررت يومها أن هذا الشاب هو شاعر من العيار الثقيل، يعرف كيف ينظم الكلمات كعقد لؤلؤ..

كان ذلك عندما دعاني عمرو أنا وأمجد لزيارته في شقته، يومها اكتشفت عالما غريبا، هذان الشخصان يحملان أفكارا جميلة جدا وغريبة.

حكى لي أمجد عن بدايته مع القراءة وكيف أنه مثل أغلب أبناء جيلنا بـدأ بقراءة رجل المستحيل لنبيل فـاروق ومـا وراء الطبيعـة لأحمـد خالـد توفيـق، أشعل سيجارة واستطرد عائدا للحديث عن القصيدة:

- رفضت المجلة نشرها، قالت لي رئيسة التحرير (لا أريد أن أجـازف)، لم أبالِ، أعلم أني سأنشرها بمكان ما..

أمجد وعمرو..

أجلـس بيـنهما فأشـعر أننـي صـعلوك، شـاعر كأمجـد وقـاص كعمـرو يجعلانني أتضاءل في نظر نفسي، لكني أسعد برفقتهما، يكبرانني هم بـسنوات، لذا أحاول ملازمة الصمت في وجودهما، أتابع فقط وأسمع ولا اتـدخل إلا إذا سألاني، أحيانا أبدي رأيا ما ثم أعاود الصمت، أتابع حـديثهما و أتعجـب مـن اللازمة التي لا يتخلى عنها عمرو، فهو لا يبدأ حديثه إلا بشخرة، أما أمجد، فقد كان يقوم بفعل عجيب لم أره من قبل، يسحب نفسا من الـسيجارة، ثـم يطلـق الدخان من فمه تجاه أنفه مباشرة ويسحبه بثقبيها !! كأنه شلال، شـلال دخـاني يصعد لأعلى بدلا من أن يهبط إلى الأسفل، سألته عن الحكمة من تلك الحركة، قال لي أنها عادة تحولت إلى مزاج.

الحديث الذي خاضاه يومذاك حيرني، لا أذكر كيف بـدأ الحـديث حتـى وصل إلى نظرية يؤمن أمجد بها ويسميها (زوايا المثلث):

- لقد وزع الله علينـا نعمـه بكميـة متـساوية، إلا أنـه وزعهـا في مجـالات مختلفة، تماما كزوايا المثلث، هـم **180** درجـة، ربـما كـان المثلـث قـائما

فتكون زاوية بقياس **90** والآخرتين كل منهما **45** درجة، لكن تخيل معي إن لم تعد تلك الزاوية بقياس **90**، وأنها مثلا كانت **89**، بالتالي ستصير الزاويتين الباقيتين، واحدة بقياس **45** والأخرى بقياس **46**.. ونصيبك تماما كزوايا المثلث، موزع بذات المعدل على البشر في مجالات كالصحة والجمال والذكاء والرزق والتدين والأصدقاء والقبول والراحة النفسية والقدرة على الإنجاب ووو..... الشيء الوحيد الذي بوسعك أن تتحكم به في كل تلك المجالات هو التدين، فأنت بوسعك أن تسير على الصراط وبوسعك أن تكون كشاعرك المفضل يا آسر، لكن اعلم أنك إن اخترت أن ترفع رصيدك في أمر كالتدين، فهذا يعني أنك بيديك وبمحض إرادتك ستنقل بعض الدرجات من زاوية أخرى من زوايا مثلثك، لتضعها في زاوية التدين، وهنا لن تضمن عواقب ذلك، فقد تكون تلك الزاوية التي ضاقت هي زاوية الصحة، فتمرض أو يحدث لك أي مكروه، وقد تكون زاوية الرزق، فتصاب بقحط وتشحذ..

أدهشتني تلك النظرية، حاولت تفنيدها لكنه كان جاهزا بالرد، سألته عن رجل كعبدالرحمن بن عوف:

- كان ثريا صحيحا وسيما مبشرا بالجنة، أنجب وكانت حياته رغدة، أين هو من مثلثك ؟ أم يكون قياس نصيبه **360** درجة كالدائرة ؟

ضحك عمرو من تعليقي، غير أن أجد رد:

- هذا هو الاستثناء الذي يؤكد القاعدة. عد على أصابعك كم شخص تعرفهم على ذات الشاكلة، قليلون جدا.

- كلامك معناه ان لديك قناعة بأن المرء بوسعه أن يتحكم - ولو بمقدار - في مقدراته.
- ليس تحكما مباشرا، إنما هو تحديد لمسار حياتك، توضيح لاختيارك، الدنيا أم الآخرة.. تستطيع أن تقول أنك تتاح لك نسبة صغيرة جدا تشارك بها في صناعة قدرك.

سأله عمرو:

- ولذلك لا تصلي ؟
- هذا عامل من ضمن العوامل التي جعلتني ابتعد عن الصلاة، فأنا إن رفعت رصيدي في التدين، سينخفض رصيدي في مجال آخر، وأنا رجل لم أشبع من حياتي بعد، ألم يقل الرسول (أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل)، هذا بخلاف أننا يجدر بنا أن نلتفت لأمور أكثر أهمية من الصلاة، الصلاة لن تبني مجتمعا قويا ودولة متقدمة، الدين المعاملة كما قال الرسول، ثم صراحة أنا أرى أن الصلاة من الإسلام القديم، إسلام شبه الجزيرة والبوادي، أما الإسلام الحديث كما أراه من وجهة نظري، هو الإسلام المنتج، إسلام يحترم أفراده أمورا كالعلم، كحفظ المواعيد مثلا، المواعيد التي يرى المصريون أنها وضعت لتخرق وتخالف.

لم أفه، لم أحاول المجادلة حتى، فأنا لست خبيرا في الدين كي أناقشه، فإن ناقشته وغلبني ربما تثبت قناعاته تلك في قاع جمجمته، وربما اهتززت أنا، كل الذي كان أن نظر له عمرو معاتبا، وشخر شخرته القصيرة المعتادة ثم قال:

- يا ابن الكلب كفاك شططا وغيا، ثم ماذنب آسر أن تسمم أفكاره بترهاتك هذي، هات يا وسخ الحشيش ودعنا ننطلق.

وشرعا يلفان السجائر وأنا جالس أتخبط في حيرتي.

(الفصل الخامس)

"أكل العسل حلو بس النحل بيقرّص
شرب الحشيش مزاجه عالي والراجل اللي هيبجي ويكرّس"
(عماد بعرور)

(1)

في عيد مولدي جاء الأقارب والأصدقاء..

قابلت أبناء العمومة وأبناء أخوالي والأصدقاء، كافة عوامل البهجة كانت متاحة: قبلات وتحيات وهدايا وموسيقى ورقص ومغازلات وملامسات ودعابات وحلوى وأكل وشموع...

وفاتنة.

صديقة ابنة عمي، جاءت معها، رأيتها فعلمت أني سائر إلى صيد جديد، فور ما وقعت عيني عليها اتخذت قرارا بأن أفعل كل شيء لأظفر بها، ربما تكون سهلة، ربما يكون طريقها وعر، لا آبه، فقد توصلت لقناعة أن الرجل بوسعه أن يظفر بالفتاة التي يريدها أيا تكن، هكذا تعلمت من خبرتي المتواضعة ومن الفيلم الذي قلب تفكيري **(Hitch)** لـ(ويلي سميث)..

كتبت إيزابيل الليندي في روايتها "صورة عتيقة" عن الفتيات: (.. هن كائنات لذيذات و لكنهن بلا بنية أخلاقية، مستعدات على الدوام للوقوع في الغواية. فهن ينتمين إلى التراب، والدبال، والدم والوظائف العضوية..).

عرفتني إليها ابنة عمي:

- رؤيا المصطفى، صديقتي وزميلتي في المدرسة.

صافحتها وتحدثت معها قليلا، اخترت أن أبتر حديثي قبل المتوقع لئلا تظن أنني قد همت بها سريعا، تاركا لها فرصة كي تراقبني، وأراقبها.

توجهت للأصدقاء أغني معهم وأرقص، سعدت جدا لحضور صديقي المفضلين: سارة وأمجد، قدمتهما إلى بعض

- سارة.. هذا أمجد صديقي، شاعر المجلة الأول، شاعر من العيار الثقيل، أمجد أقدم لك سارة، صديقتي التي حدثتك عنها.

تصافحا، وتركتهما يلهوان في المكان كما يحلو لهما، كان عمرو أيضا حاضرا.

أتممت إذن عامي الثامن عشر وصار من حقي أن أستقل عن أسرتي وأستخرج رخصة قيادة، لذا احتفلت كما يقتضي الحدث، استأذنتهم واتجهت لغرفتي، أغلقت الباب بإحكام واستخرجت سري الصغير من أحشاء خزانتي، زجاجة **ID**، همت معها في حوار سريع غلبتني هي فيه، أعدتها إلى حيث كانت فارغة، وعدت أكمل طقوس الاحتفال معهم.

حاولت اختلاس بعض النظرات تجاه رؤيا، رزينة هي لا تفرط في الحديث ولا التمايل على أنغام الأغاني ذات الإيقاع الراقص التي أعدت لهكذا مناسبات..

جلت في الصالة الواسعة، أبحث عن أمجد لأحدد معه موعدا لسفرنا إلى الإسكندرية، حيث أهداني أبي تكاليف الرحلة التي سنقضي فيها بضعة أيام على شاطئ المتوسط، هربا من وعثاء عام كامل قضيته في القاهرة لم أبارحها فيه إطلاقا، خططت للذهاب رفقة أمجد وعمرو، ومنحت كليهما إذنا في مصاحبة شخص من طرف كل منهما كي تكتمل الرفقة، ودعوتهم للحلول ضيوفا عليّ في الشاليه الذي يمتلكه أبي في منطقة العجمي.

وجدت أمجد كما تركته قبل أن أذهب لشرب قنينتي - التي جلبتها لي سارة كهدية إضافية فوق هديتها الأصلية - واقفا برفقة سارة يتضاحكان، توقعت أن يتفاهما، بينما جلس عمرو وحيدا يعبث بهاتفه المحمول.

توجهت لهما وقطعت حديثا خافتا دار بينهما، لا أنكر أنني شعرت بوخزة في قلبي، وخزة لم أدهش عندما شعرت بها تحيق بي وتسبب لي ضيقا أخجلني، سألته:

- الخميس القادم نغادر ؟

رد:

- سأذيقك طعم فتة الـSea Food التي يقدمها مطعم أبو فارس، أعدك أن تنبهر، وتدمنها، مثلما ستدمن حشيشة الساحل، أعدك أن أصل بك للأرض الخضراء.

هنا لا أنكر اني دهشت، أن يحدثني عن الحشيش أمام سارة يعني أنه إما تكلم معها في هذا الأمر أو يمهد للحديث معها عنه، ها قد كسر حاجز وقاره أمامها وكشف لها ورقة من أوراقه.

ابتسمتُ وربتتُ على كتفه وهمستُ:

- ونشرب كنشة وغرقانة.

نظرت سارة له وقالت:

- وستجلب لي معك بعضا منه.

أسبل عينيه وقال:

- بل وأجلب لك العرباوية[1] ذاتهم
- أوو، ميرسي مسيو أمجد

انصرفت عنهما وعدت أتحدث مع ضيوفي وأنا اختلس النظرات تجاه العينين القاسيتين، أقررت بعد ثالث نظرة تجاه رؤيا أن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحين قتلانا، وأن عبد الحليم صدق عندما شدا (العيون السود، رموشهم ليل)، لأول مرة أراها منسجمة على نغمات أغنية اليوم، تهانينا كاظم، هاقد نجحت في اختراق مزاج الآنسة، كانت تضرب بكفيها على رجليها وهي شاردة في جلستها جوار ابنة عمي، كانت الأغنية هي (قولي أحبك)..

إن كانت حقا من عاشقات كاظم فهذا يحمل ألف معلومة لي في تيسير طريقي إليها.. هذا النوع الذي يهادى بكتاب، لا سارة.

كنت قد كونت فكرة معقولة عن صنوف بنات مدينتي: فالبنات هنا حولهن الكبت إلى عاهرات أو معتوهات، العاهرات يتأثرن بتسريحة شعر محمد حماقي أكثر من تأثرهن بأشعار نزار، ومن تتأثر بشعر نزار تحاصر حتى تغدو معقدة أو متمردة وفي كلا الحالتين ينتهين إلى طابور طويل من البغايا محليات الصنع.

أما المعتوهات، فيحببن أول خاطب يطرق الباب أو يحببن `ذاك الداعية الشاب شديد الجهل الذي لا يكف عن إمدادنا بأحاديث واهية السند !!

1- هم العربان من البدو الذين يتجرون بالحشيش ويسكنون منطقة الساحل بعيد الإسكندرية بعدة كيلومترات.

واللواتي فلتن من هذا التشوه نادرات ندرة اللحن الجميل في أغنيات شعبان عبدالرحيم.

كان يوما مبهجا، الكثير من الرقص والفتيات والأصدقاء.

بعد مضي ساعتين على بدء توافد الضيوف، أطفأت شمعتي وقطعت قالب الحلوى، بعدئذ بنصف ساعة بدأ الحاضرون مغادرة المكان، وكان من أواخر الناس انصرافا قريبتي وصديقتها رؤيا، سلمت عليهما، طلبت من رؤيا ألا تختفي و ألا تعتبر لقاءنا مجرد صدفة أو حدث عابر (فلنبق على اتصال)، هكذا قلت لها وأنا أمد يدي لأصافحها، ابتسمت ولم تمد يدها، رفعت قريبتي عني الحرج مسارعة ومدت يدها - وهي تبتسم - بدلا من يد رؤيا.

(2)

طلبت من زوج خالتي الضابط أن يتدخل ويساعدني في إنهاء أزمة رخصة القيادة التي أرهقتني، مررت بالاختبار العملي البدائي، وهو عبارة عن طريق على شكل حرف S يحددونه بأقماع، طلب إلي أن أقطعه متقدما بالسيارة ثم عائدا إلى الوراء، فشلت وارتطمت بالسيارة في القمع البلاستيكي الأخير أثناء عودتي، لم يكن ارتطاما بمعنى الارتطام، بل مجرد احتكاك خفيف، أمرني الضابط بالعودة للاختبار بعد 3 أشهر، وهي المدة القانونية لإعادة اختبار استخراج الرخصة، استطعت يومها أن أتفاهم مع الأمين المسئول عن تدوين

النتائج ومنحته **50** جنيها كي يسمح لي بمعاودة الاختبار في اليوم التالي وأن يشطب نتائج اليوم، كأنني لم اختبر أصلا، فاوضني على **350** جنيها مقابل منحي الرخصة دون اختبارات (من منازلهم) على حد تعبيره، لم أكن امتلك المال الكافي، عرضت **150** جنيها وهو ما كان بوسعي دفعه، رفض، وطلب مني الحضور في اليوم التالي لمعاودة الكرة، غير أنني فشلت هذه المرة في الاختبار النظري في إشارات المرور، كان معدل إجاباتي مثل اليوم السابق **4** إجابات صحيحة و**3** إجابات خاطئة، إلا أن رئيس وحدة المرور كان يتعرض في تلك اللحظة بالذات لزيارة من رؤسائه اضطرته لاتباع القوانين كما ينبغي، فردني خائبا كاليوم الأول.

وعندما هاتفت زوج خالتي الذي أرسل لي أمين شرطة مسن من طرفه، والذي رافقني وناب عني في مقابلة المسئولين واشهار بطاقة التوصية أمامهم، علمت حقا أن نجيب محفوظ لم يخطئ عندما طرح سؤاله في (السكرية) "وهل يوجد رزق دون وساطة في هذه الدنيا ؟"، رسول زوج خالتي نابه ما نابه مني، والأمناء الذين غضوا الطرف نابهم أيضا نصيب من الوليمة، كل مطالبك ومصالحك تحل بالوساطة في وطني، تذكرت مدرس اللغة الإنجليزية الذي درسني في الإمارات، قال لي: (زرت مصر، الواسطة عندكم بند دستوري لا يمس، نسميها في تونس فيتامين واو) يومها شعرت بشيء من الإهانة، تناقشنا ولم يقتنع أحدنا بوجهة نظر الآخر، غير أنني تأكدت من صحة مقولته يومذاك.

بعد ربع ساعة من دخول رسول الوساطة إلى مكتب رئيس وحدة المرور، خرج من غرفته واصطحبني مباشرة إلى جهاز تصوير الناجحين في الاختبار.

تسلمت رخصتي بعدها بدقائق وعدت ظافرا.

(3)

لم يكذّب أمجد ولم يبالغ، فتة الـ Sea Food التي يقدمها أبوفارس سيصعب علي الإقلاع عنها طوال تواجدي بالإسكندرية، هذا إذن وعد صدق فيه أمجد من وعدين قطعهما على نفسه..

كنا قد وصلنا إلى الإسكندرية عند الثانية بعد منتصف الليل، تركنا متعلقاتنا في الشاليه وقبل أن نبدل ثيابنا جذبنا أمجد إلى السيارة وانطلقنا صوب حي ميامي حيث يقع مطعم أبوفارس، لم يتح أمجد لأحدنا فرصة كي ينظر في قائمة الوجبات المطروحة، ما إن جاء النادل طلب منه أمجد ثلاث وجبات فتة Sea Food، سألني عن رأيي بعد أن تذوقت الوجبة، أجبت:

- أوفيت بوعد، ويتبقى لك آخر.
- لا تقلق، بعد أن نغادر المطعم سأفي بالوعد الآخر، وستكمل قصتك الجديدة بعد أول نفس من (الاستفة) – ثم ملتفتا تجاه عمرو الذي ظل يتناول طعامه في هدوء –:
- وأنت يا أديب، ما رأيك ؟ لم لا تتكلم ؟

رد عمر والطعام لا يزال في فمه:

- الصمت في حرم الجهال جمال.

ثم عاود الأكل، فضحكت أنا وأمجد.

كانا قد رفضا عرضي باصطحاب أحد معنا في هذه الرحلة، في البداية ظننت أن رفضهم ما هو إلا حرج مني، لكنني فهمت سبب الرفض لاحقا عندما طلب مني أمجد أن يجلب فتاتين لنقضي معهم (أوقاتا ساخنة) على حد تعبيره، رفضت، ورفضي كان نابعا من أمرين، أولا خوفي من أن يلحظ البواب وجود الفتيات ويخبر والدي عندما يراه، وثانيا ألا أكون قوادا - في نظر نفسي على الأقل - وفي نظر أمجد وعمرو، غير أن أمجد ألح وضغط علي، فقررت أن أحكّم عمرو الذي غلبه حياؤه فكان على الحياد والتزم الصمت، لكنني في النهاية أصررت على رفضي.

اتجهنا بعد أن فرغنا من تناول الطعام إلى شارع خالد بن الوليد، وهناك استأذن عمرو وطلب منا أن ننتظر مدة نصف ساعة على أي مقهى ريثما يعود ومعه الحشيش أو (يقضي المصلحة) على حد تعبيره، اخترنا أن نقف على الكورنيش حتى يعود عمرو، شرع أمجد يغني بصوت خفيض بينما رحت أنا أراقب المارة، جميلة هي الإسكندرية، شوارعها نظيفة ومنظمة، والبحر أكثر من رائع، لم تكن فيروز تجامل عندما غنت (شط إسكندرية يا شط الهوى)، ولا كذب من قال أن (إسكندرية مارية وترابها زعفران)، سرحت قليلا في هذه المدينة الغافية على شاطئ المتوسط قبل أن يقطع أمجد خواطري بسؤال غريب:

- آسر، لاحظت شيئا غريبا، من المشاهير ذوي الأصول السكندرية

يوسف شاهين، صح ؟

- صح.
- وكذلك سمير صبري، صح ؟

حقيقة كنت قد فهمت سؤاله قبل أن يكمل، فابتسمت وقلت:

- صح، والله أمر غريب..
- ليس غريبا في شيء، قل لي من أي محافظة أنت ؟
- قاهري أبا عن جد، وأنت ؟

ابتسم:

- أنا لست مصري، أنا أردني.

ولما أبديت دهشتي لأن لهجته تبدو كلهجة مصري قح، رد علي بأن والدته مصرية وبأن هذا هو عامه السابع في مصر، قال لي:

- إذا كان الإنجليز والفرنسيون قد محقوا لغات البلدان التي احتلوها، على تفاوت فترات ذاك الاحتلال، إلا أنهم خرجوا من مصر يجيدون العربية، وفي المقابل لم تهتز اللهجة المصرية منهم إطلاقا، فكيف تريدني – و أنا عربي – ألا أكتسب لهجتكم ؟
- معك حق، لكن دعك من هذا كله وقل لي كيف كنت ستجلب الفتيات ؟ هل ستقف وتسأل عن ساقطات كما كان عمرو يفعل في رحلاته السابقة عندما سأل أحد السابلة عن تجار حشيش؟
- كيف عرفت ؟
- حكى لي.

سحب نفسا من سيجارته وشربه بطريقته المميزة قبل أن يلتفت لي ويقول:

- آسر يا بحر.. بالمال يستطيع الإنسان أن ينكح العالم، لا تحسب إطلاقا أن أي سمسار هنا هو مجرد سمسار لتأجير الشقق فقط، بل هو للشقق والحشيش والفتيات وكل ما إلى ذلك من سبل المتعة..

لم أعلق على كلامه، لأني لم أقتنع به، ولأني كنت أحاول تذكر أين سمعت مقولة بالمال يستطيع الإنسان أن ينكح العالم، صمتُ وعاودت تأمل المارة ومتابعة الفتيات، لكم هن جميلات السكندريات ! كما أن معدل الوجوم في الوجه السكندري يكاد يكون شبه منعدما مقارنة بالوجه القاهري المليء بالشروخ.. أقر أنني أحببت الإسكندرية.. أو قل ارتحت لها.

- ها قد جاء عمرو

قالها أمجد وهو يشير تجاه عمرو، بينما لوح لنا عمرو من الجهة المقابلة من الشارع، عبرنا واتجهنا نحوه فصافحنا وهو يقول:

- اشتريت نصف أوقية حلاااال.

(4)

بصعوبة شديدة وبعد رفض ومماطلة وتسويف أقنعنا أمجد أن يأتي معنا إلى المسجد المجاور لتأدية صلاة الجمعة، في البداية قال أنه سيسبقنا إلى البيت، ثم ادعى أنه سيقرأ أخبار الأدب التي تصدر كل جمعة، أعقب ذلك بأنه

سينتظرنا على المقهى المجاور، وفي النهاية أذعن لإلحاحنا وقبل على مضض مرفقا ذلك بتحذير مفاده أنه سيرحل في أي لحظة إن لم يستطع استكمال الخطبة.

دخلنا ثلاثتنا وتوضأنا ثم جلست أنا وأمجد متكئين إلى الجدار بينما راح عمرو يصلي ركعتين، كانت الخطبة قد بدأت، حاول أمجد أن يلقي نظرة على الصحيفة، يتجه هو مباشرة إلى صفحة البستان، غير أني منعته وسحبت الصحيفة من يده، برم شفتيه معترضا، ثم فوض أمره وراح يستمع للخطبة التي كانت تتحدث عن مجاهدة النفس وعن الإغواءات التي تواجه المسلم، أنصتُ للخطيب الذي فاجأني بسلامة مخارج ألفاظه واهتمامه بالنحو مما شدني أكثر، راح يوزع نظراته على المصلين وهو يقول:

(.. لذا أطلق عليه المصطفى - صلى الله عليه وسلم - الجهاد الأصغر، انظروا إخواني إلى الشهوات التي تجعل المسلم يحيد عن طريق الله، الجنس ؟ ما الجنس ؟ الجنس تلك الشهوة التي أحلها الإسلام بالزواج وحرمها دون زواج، الجنس يا إخواني تلك الشهوة التي يلهث شبابنا خلفها..) - ثم رافعا صوته بشكل ملحوظ - (ما الجنس إلا مجرى بول في مجرى بول..)

هنا انتفض أمجد ونظر لي نظرة اعتراض بين وهم بالقيام، إلا أن عمرو - الذي كان قد انتهى من صلاته وعاد ليجلس جوارنا - أمسك به ونظر لأمجد نظرة استجداء وطالبه بالجلوس، فجلس أمجد والضيق باد عليه..

عدنا لمتابعة الخطبة مجددا، وراح الخطيب يعدد الشهوات التي تهدد المسلم، حتى كانت القشة التي قصمت ظهر البعير عندما صاح الخطيب

بصوته الجهوري (ماركس، الفيلسوف الشيوعي السوفيتي الملحد قال: سأنسي الناسَ الدينَ بالمسرح، هذا هو موقف أعداء الدين، هنا علينا أن ننظر بتمعن كيف تصرف المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وكيف كان موقف الإسلام من الشعر، وهو المقابل الموضوعي للمسرح في ذاك العصر، عصر الحبيب - صلى الله عليه وسلم - بأبي أنت وأمي يا حبيبي يا سيدي يارسول الله عليك أفضل الصلاة وأتم التسليم، كان موقف الإسلام صريحا واضحا، إذ يقول تعالى في سورة الشعراء: "والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون مالايفعلون" صدق الله العظيم...)، هنا نهض أمجد ونظر لنا بإصرار وهمس:

- سأسبقكم إلى المنزل

(5)

كان نقاشا جميلا لن أنساه ذاك الذي دار بين أمجد وعمرو عقب ذهابنا للمنزل، عاتب عمروُ أمجدَ لأنه غادر المسجد ولم يصل الجمعة معنا، فقال أمجد بهدوء رادا على عمرو:

- نعاني من أزمة الفهم الجامد للنصوص، فهم حجري سيبقينا كما نحن، (ملطشة) لأي دولة ولأي شخص طالما نشهر مقاصلنا في وجه كل من يمسك قلما.

شخر عمرو ورد ساخرا:

- دعك من هذه الشعارات واشرح لي ما تقصده بالفهم الجامد

للنصوص، الذي أعرفه أن القرآن له معنى واحد لا يتغير منذ أنزل وإلى أن تقوم الساعة.

- اسمع يا عمرو، أولا لا إكراه في الدين، انا أمارس الإسلام كما أراه وأفهمه، والدين حمّال أوجه كما قال علي بن أبي طالب.

قاطعه عمرو:

- قل سيدنا علي.

بانفعال أجاب أمجد:

- سيدك أنت وحدك، ثم لا تقاطعني، أليست هذي هي آداب الإسلام في الحديث ؟
- تفضل.
- الدين حمّال أوجه يا سيدي، من يفهمه بالشكل الصحيح هو الرابح والباقون هم الخاسرون، ألم يقل سيدنا محمد: "أنت أعلم بشئون دنياكم" ؟ تطبيق هذا الحديث بالشكل الصحيح في رأيي قام به عمر بن الخطاب في عام الرمادة عندما خفف الحدود أو ألغاها لا أذكر، كانت المرأة تزني كي تطعم صغارها، وكان الرجل يسرق كي يطعم أهل بيته، ورغم أن النص الصريح يقول بقطع يد السارق وجلد الزانية غير المتزوجة ورجم المتزوجات والمتزوجين، إلا أن عمر بن الخطاب أعمل عقله في النص، اتبع المنطق، كيف يقطع الأيادي ويرجم ويجلد أناس لم يفعلوا ما فعلوه إلا كي يعيشوا ؟ هل من المنطقي أن تقطع يد شخص لأنه يحب ابناءه ويريد أن يطعمهم ؟

- ماذا تعني ؟
- أعني أنني أمرر النص على عقلي أولا، لا أقول أنني أرفضه، الذي أقصده أن الله قد ترك لنا في الإسلام مواضع مرنة، بوسعنا أن نعمل لها Update ونقيّفها بما يناسب عصرنا.
- مثل ماذا ؟
- مثل الاختلاط في الجامعة مثلا، ماذا نفعل إن كنا بلد مثلا لا تستطيع أن تبني جامعة مستقلة للشبان وأخرى للفتيات ؟ هل نمنع أحدهما من التعليم ؟ هنا يحق لك أن تسمح بالاختلاط وأنت في بطنك بطيخة صيفي.. لا أخال أن الله سيعاقبنا على أمر كهذا وهو يعلم طبيعة هذا الزمان.
- أنت مخبول.
- شكرا.
- ويؤسفني أيضا أن أقول لك أنك لا تعرف شيئا عن الله والدين.
- Ok دعك من هذه النقطة، لا أظن أن عقليتك يا عمرو مؤهلة لتلقي ما أعنيه، قال الخطيب أن الجنس مجرى بول في مجرى بول، هذه رؤيته لغريزة أودعها الله فينا.. ما رأيك ؟
- وهل كذب ؟
- صدقني، هذا الذي يحقر من شان الغرائز لو أتيح له أن يعاشر هرر الشوارع لفعل.
- ها أنت تتبع سياسة الشتم والصوت العالي كي تهرب من خانة اليك.

عاد أمجد ليسحب نفسا من سيجارته بطريقته المعتادة ثم رد:

- سؤال أخير لأني مللت من محاولة فتح مسام مخك، كيف سيتمتع المؤمن في الجنة بالحور العين ؟
- سيعاشرهن.
- بطريقة مجرى بول في مجرى بول ؟

صمت عمرو لبرهة ثم ابتسم وقال:

- بالطريقة الطبيعية.
- كيف ؟
- هذا منه في هذا منها.
- لماذا لا تقول مجرى بول في مجرى بول ؟

صمت عمرو مجددا قبل أن يضيف:

- اسمع يا أمجد، ربما معك حق في العبارة التي عبر بها الخطيب عن الجنس، لكن آية الشعراء يتبعهم الغاوون أنا مصر حيالها على موقفي..

باستهزاء أجاب أمجد:

- وماذا عن القصة والرواية والمسرح والخاطرة ؟

بامتعاض جاء رد عمرو:

- أنت تعلم أن الشعر قصد به هنا كل ما يمت بالأدب لصلة، ثم هب أن الخطيب قال كلاما لم يلاق هوى في نفسك، أيكون موقفك أن تغادر المسجد ؟
- ولماذا أصلي وراء شخص علاقته بالدين سطحية وضحلة؟ لماذا أصلي

وراء شخص يبذر في عقول الناس أفكارا غير صحيحة ؟ أنت قصّاص، هل تفعل شيئا حرام ؟

هنا تدخلت أنا في الحوار:

- أتعرفون معنى كلمة قصّاص باللهجة الإماراتية ؟

ولما بان منهما عدم معرفة بمعنى الكلمة أردفت:

- قصّاص بلهجة أهل الإمارات تعني كذاب.

التقط أمجد طرف الحديث:

- أترى ؟ ها قد صرتَ كاذبا وصرتُ أنا ضالا مضلا.. تهانينا.

رد عمرو:

- أنت تخلط الأمور، لا علاقة لتصور شعب ما لكلمة ما بما قاله الخطيب اليوم.

- صرتَ سوفسطائي يا عمرو، الإسلام ليس ضد الأدب في شيء، كل الأمر أن أغراض الشعر مع قيام دولة الإسلام حُددت وحُصرت، ليس لشيء سوى أن الوقوف خلف دولة وليدة أسمى من التغزل في صدور النساء ونظم خمريات وما إلى هنالك، ألم يقل الله " نحن نقص عليك أحسن القصص" ؟ القرآن هو الأدب الأرقى أصلا، اسمع، أنت رجل أدب، قل لي ما هي أبشع رواية أو فيلم صور حياة السجن في نظرك ؟

- رغم أنك تلف وتدور بلا طائل، ورغم أنني لا أرى هدفا لسؤالك سوى المراوغة - وأشهد أنك مراوغ ماهر - سأجيب، دعني أتذكر،

ممم، ربما السجن في رواية كتبها صنع الله إبراهيم اسمها (شرف) هـو الأبشع مطلقا.

- قرأتُها. ماذا عن الأفلام ؟
- **All the pretty horses** لـ مات ديمون.
- وأنا أقول لك أن السجن في سورة يوسف أجمل مـن روايتـك وفيلمـك المفضلين، وهي الرواية الأقوى أصلا، كيف يحتوي القرآن عـلى روايـة بمثل هذه القوة ثم ينهى عـن الأدب و الـشعر ؟ لا تحـاول إقنـاعي أن الشعر حرام حتى لو تغزلت كما تقول بامرأة.

استمر نقاشهما طويلا، كنت مستمتعا به جدا، ظللت أتابعه حتى كانـت الساعة الخامسة، فانصرف عمرو و أمجد لمتابعـة مبـاراة منتخبنـا الـوطني بينما دخلت أنا إحدى الغرف ورحت أقرأ (الخبز الحافي) التي كنت قد اشتريتها من فترة ولم أقرأها، اندهشت من سيرة حياة الأديـب المغـربي الـذي لم يكـن يجيـد القراءة والكتابة حتى عامه العشرين، واندهشت أكثر من أن ينشر سـيرة ذاتيـة بهذه الفجاجة ولا يبالي بما سيقوله كل من قرأهـا، وأكثـر مـن هـذا وذاك كـان اندهاشي بجرأة دار الساقي التي نشرت عمـلا في أوطـان تعامـل فيهـا الكتـب معاملة البغايا..

كانت مقولة (بالمال يستطيع الإنسان أن ينكح العالم) التـي قالهـا أمجـد في اليوم الأول الذي وصلنا فيه إلى الإسكندرية لا تزال تشغلني محاولا تذكر أيـن قرأتها أو سمعتها عندما وجدتها تبتسم لي بخبث في الروايـة، أغلقـت الكتـاب

وأشعلت جوينت ورحت أعصر مخي محاولا أن أتذكر كيف وصلتني هذه المقولة قبل أن أسمعها من أمجد، خرجت من الغرفة لأجد الشابين منهمكين في تبادل **Back** من جوينت كبير من ذلك النوع الذي يسميه عمروُ (بوب)، أشار لي أمجد كي يعطيني باك أنا الآخر بطريقة الـ **35**، أخذته وسعلت طويلا، وعندما هدأت رئتي، سألته:

- هل قرأت رواية الخبز الحافي ؟

رد بعد أن منح عمرو هو الآخر باك:

- لا.

عدت للغرفة كي أكمل القراءة، غير أنني تسمرت في مكاني للحظة عندما ارتسمت الصورة في رأسي بغتة، صورة مطبخ سارة بباب ثلاجته والقصاصات المتناثرة عليه، تذكرت منظر القصاصة الصغيرة، أو الأصغر على الإطلاق بين جميع القصاصات..

(إذن زارها أمجد !) هكذا قلت لنفسي، كان الأمر غير منطقي بالنسبة لي، هل التقطها أمجد من هناك ؟ أم أنها وصلت له من مصدر آخر ؟

زيارة أمجد لسارة تعني الكثير بالنسبة لي، (هل يحاول مزاحمتي في الشمالية، يريد أن يقتسمها معي وربما يريد أن يزيحني تماما ؟) جذبت النفس الأخير من الجوينت وأطفأته، ثم خرجت لمتابعة المباراة معهما.

(الفصل السادس)

"I cry when Angels deserve to die"

(أغنية Chop suey لفريق System of a down)

(1)

(هل أحتاج أن أحتفل بعيد ميلادي مرة أخرى كي أراكِ مجددا أو أسمع صوتك ؟)

كان هذا نص الرسالة التي أرسلتها بعد فاصل طويل من الرنات بيني وبين رؤيا، قررت أن أتقدم خطوة أخرى، فأرسلت لها هذي الرسالة، لم أكن أنتظر منها ردا بقدرما كنت أكسر حاجزا طال بقاؤه..

بيد أن رؤيا آثرت أن تباغتني برد صادم، ثلاث كلمات فقط، (ماذا تريد مني ؟)..

ابتسمت بعد أن قرأت حروف رسالتها، أهلا بتجربتي الجديدة.

كانت رسالتي هذه في أول أيامي عقب العودة من الإسكندرية، أرسلتها لها فورا دخولنا المدينة، كنا في سيارة أمجد، أجلس أنا في الكرسي الخلفي بينما يحتل أمجد مقعد السائق وجواره يجلس عمرو، دار بينهما حوار غبت عنه وأنا أكتب الرسالة واضعا سماعات الـ **Mp3 player** في إذني، وعندما انتهيت من قراءة رسالة رؤيا أزحت السماعتين عن أذني وسألت عمرو:

- عمُّور.. سؤال ملح بعد إذنك، لماذا يُعَامل الإنسان هنا بناء على نيته ؟ بمعنى لماذا يلزم الكثيرون الحذر المبالغ ويتصرفون بناء عليه ولايتيحون لأنفسهم فرصة التجربة ؟

رد عمرو مندهشا:

- لا أفهم قصدك.

فأخبرته بحكاية رؤيا المصطفى، حكيت لـه كيـف رأيتهـا للمـرة الأولى وكيف جاء ردها على رسالتي، أجاب باقتضاب:

- حرّص ولا تخوّن، هذه فلسفة المصريين كافة.

تدخل أمجد:

- عليك أن تثبت لمن أمامك أنك تحمل معك مصلحة له ولا تبغي إيذاءه، أقنعها، إن لامتك على الاقتراب منها، فسيتعين عليك أن تقنعها بأنـك سليم النية، أو بأن تواجدك في حيزها ونطاقها أمـر طبيعـي أو لاحيلـة لك فيه، اسمع سأحكي لك قصة، شاعرك البغدادي يـا آسر، اشـترى ذات يوم زجاجة من زجاجاته المعتقـة ولفهـا في كـيس متجهـا بهـا إلى منزلـه، في الطريـق اسـتوقفه العـسس أو الـشرطة كـما نقـول، فتـشوه فوجدوا بحوزته تلك القنينة، وأرادوا أن يجروه إلى الـسجن بنـاء عـلى مجرد حمله لزجاجة خمر، وعندما سألهم لماذا يريدون أن يـسجنوه أجابـه أحدهم: (لأنك تحمل آلة سُكْر)، جادلهم صاحبك وقال لهم بأنها غـير مفتوحة وأنه لم ولن يشربها، بيد أنهم أصروا و كرروا إجـابتهم (تحمـل آلة سُكْر)، فما كان من شاعرك إلا أن أشار لما بين فخذيه وقال: (وأحمل آلة زنا، فلماذا لم تقبضوا علي من قبل أو لماذا لا تقبضون على هذا الرجل ؟) وأشار تجاه أحد أفراد العسس، فضحك الرجل وأمرهم بأن يتركوا أبا نواس يرحل.

ضحكت كثيرا على هذا القصة حتى دمعت عيناي، وسألني أمجد:

- فهمت قصدي يا آسر ؟

- فهمت قصدك يا صاحبي.

في هذه اللحظة بالذات انحرف ميكروباص تجاه سيارتنا حتى كاد يصدمنا، بالكاد استطاع أمجد أن يتفاداه، نظر لعمرو مشدوها وهو يقول:

- شفت ابن الكلب ؟ لن أتركه..

وزاد سرعة السيارة حتى سبق سائق الميكروباص، انحرف بالسيارة حتى أصبح أمامه تقريبا، ثم توقف وترجل متوجها لسائق الميكروباص الذي كان ينظر تجاه أمجد بعجب باد، وصل أمجد إلى نافذة السائق، في اللحظة التي أدركت فيها أنه مقبل على مشكلة، فترجلنا مسرعين أنا وعمرو، وصلنا لنجد أمجد يصفع السائق كفا ويفتح الباب ليشده من تلابيبه وهو يصيح:

- رخصك يا ابن الكلب.

بدا الذعر على السائق الذي راح يعتذر، لكن أمجد أصر على طلبه، كان يكرر عبارة واحدة (رخصك يا ابن الكلب).

فجأة لكزني عمرو في فخذي قبل أن يتدخل مخاطبا أمجد:

- حصل خير يا باشا، الرجل اعتذر..

التقط أمجد الخيط سريعا ورد:

- لو كان يريد أن ينجو من حماقته عليه أن يريني الرخص، لن أسحبها، فقط أريد أن أراها.

أذعن الرجل لرغبة (أمجد باشا) ومد يده إلى الشماسة وسحب الرخص وناولها له، نظر أمجد في الأوراق، ثم نظر للسائق وألقى الرخص على الأرض وقال بتحد:

- هاتهم

رنا السائق المرتعب لعمرو موشكا على البكاء قائلا:

- يعني يصح كدا يا باشا ؟

عاود أمجد انفعاله وصرخ بوجهه وهو قابض على تلابيبه:

- لست أنت يا روح أمك من سيعلمني ما يصح وما لا يصح.

للحق اشفقت على الرجل، آه لو يعلم أن أمجد ليس ضابطا ! سمعت رجل عجوز جالس جوار النافذة الثانية في الميكروباص وهو يهمس (منكم لله يا جبارين)، مددت يدي وأرخيت قبضة أمجد وأنا أخاطب السائق:

- هات الرخص كما طلب الباشا كي تخلص.

خضع المسكين مجددا لرغبة أمجد وانحنى ملتقطا الرخص، نظر لأمجد وقال بصوت مشروخ:

- أقدر أمشي ؟

دفعه أمجد في كتفه بعنف:

- غور.

انصرف الرجل، كنت أشعر بمدى المهانة التي تلقاها، لذا سألت أمجد بعد أن ركبنا السيارة:

- ليه الفيلم دا كله ؟

- لأنه قليل الأدب، لو كان حتى اعتذر ولو ببوق سيارته، اسمع يا آسر، حقك خذه بذراعك، إن لم تأخذه بذراعك فلن يصل لك إلا إذا استخدمت اسم الله الأعظم كي تصل له.. هذا ما تعلمته هنا.

(2)

"لاتكذبي..

إني رأيتكما معا.."

لكني لم أرهما معا !

صار الأمر هاجسا يطاردني: (هل ضربني أمجد في ظهري وقابل سارة ؟ وكيف أستوثق من ظنوني ؟ هل أسأل أمجد ؟ أم أسأل سارة؟ أم ربما يجدر بي أن أستدرج عمرو في الكلام ؟ هل من حقي أصلا أن أتضايق إذا ما كانا على علاقة ما؟ ألست أنا من عرفهما إلى بعضهما البعض ؟ هل أُحبها ؟ أتحبني؟ هل تحبه ويحبها أم أن الأمر مجرد لقاء عابر ؟ أيعقل أن تكون كل شكوكي صادرة عن خيال مريض وعقل صدئ ؟)

حسمت الصراع داخلي كيلا أموت معصورا بين علامات استفهامي الكثيرة وقررت أن أقابلها، أحيانا يكون الإحساس وجده كفيل بأن تعرف كيف تسير الأمور في الخفاء.

(3)

هاتفت سارة وحددت معها موعدا في منزلها، قلت لها أنني مشتاق لها وللوحة على ظهرها، قالت هي أيضا أنها مشتاقة، لذا كنت أقرع باب منزلها في موعدي المحدد، أحضرت كالعادة قنينة جيفاس، وكعادتها فتحت الباب وجذبتني من تلابيبي وحلقنا في قبلة بمذاق الغواية..

هجومية هذه الفتاة.

دعتني للجلوس بعد أن تسببت لي بحالة تـدفق دمـوي، غابـت بغرفتهـا وعادت كعادتها بصحن به حشيش مفروك على تبغ، ناولتني البفـرة وطـالبتني بلف جوينتين ريثما تأخذ حماما وتعود لي.

حال دخولها الحمام نهضتُ متجها للمطبخ لأجلب كأسين وبعض قطـع الثلج، ألقيت نظرة على باب الثلاجة مفتشا عن الجملة التي صنعت شـكوكي، لم أجدها، اندهشت لأنها الوحيدة التي غادرت مكانهـا، لم تغـادر مقولـة إيزيـا برلين موقعها، ولم تغادر الوريقات الأخرى، عاد الشك ينهـشني مجـددا (هـل فهم أمجد سبب سؤالي له عن رواية الخبـز الحـافي وأدرك فداحـة تلفظـه بتلـك الجملة فطلب من سارة إخفاءها ؟)

عدت لموقعي وشرعت ألف السيجارتين وأرشف من كأسي عـلى مهـل منتظرا خروج الشمالية التي لم يطل انتظاري لها، خرجت من الحمام وخرج معها بخار كثيف، لا أدري لماذا تخرج سارة من الحمام دوما حمراء كالجزرة ؟ لايجـب أن أدع أمورا كهذه تشغلني.

داهمتني:

- مع كم فتاة نمت في الإسكندرية ؟

لو كان الشك رجلا لقتلته، تساءلت: (أتسألني لتبدي لي أنهـا تغـار عـلي ؟! أم حقا يشك كل منا في الآخر؟) لا ياصغيرتي لن تنطلي علي حيلتك.

- لا أبالغ عندما أقول لك أنني أخشى أن أعجز يوما عن القيام بذلك مع

أحد غيرك .

ناولتها الكأس بعد أن ملأته حتى حافته، ثم أعطيتها الجوينت وأشعلته لها.

- فماذا كنت تفعل في الإسكندرية إذن ؟

- أكتب.

- فقط ؟

- هل يشكل لك هذا فرقا ؟

- هل تعلم أن بعض الخيول ترفض أن يمتطيها أحد غير مروضها ؟ أتظن أن الخيّال قد يبادل فرسه ذات الشعور ؟

تدهشني قدرتها على الإقناع، لكنني لم أدرِ لماذا كنت أكاد أجزم أنها تتلاعب بي. أجبت:

- هل تشكين في كلامي ؟

سكبتُ لها كأسا آخرا بعد أن أجهزَت على الأول:

- إطلاقا.

- متأكدة أنت ؟

أطفأت الجوينت قبل أن تكمله وقالت:

- تعال معي إلى الإسطبل إذن لأثبت لك.

وكانت موقعة..

رفضت المجلة التحقيق الذي أعددناه عن الرقابة، قال لنا أمجد بعد أن علم بقرار الرفض:

- قالوا كلاما عن الـ (تابوهات) الثلاث المحرمة، لا أدري لماذا كل هذا الجبن، يرفضون قصيدتي (ترقيع بسيط)، ورفضوا قصة آسر الجديدة، ثم يرفضون التحقيق، أتعلمون شيئا ؟ لن استمر برئاسة صفحة لا يمكنني التحكم في محتواها.
- لا تكن كالأطفال يا أمجد.

صاحت به زميلتنا مروة، رد أمجد:

- الأمور ليست على ما يرام في المجلة، الإدارة الجديدة تضايقني منذ تسلموا زمام الأمور، ورئيسة التحرير الجديدة تريد تقليص عدد صفحات الأدب لصالح الإعلانات، وأنا لن أقبل بهذا..

بدا الضيق على أمجد، استللناه أنا وعمرو وأخذناه إلى أقرب مقهى، طلبنا له شيشة التفاح المفضلة لديه، حاولنا تهدئته، ظل صامتا، يستنشق دخان الشيشة بطريقته، حتى أجبرنا صمته على أن نسكت نحن أيضا ونتابع الأغاني التي يعرضها التلفاز. لكن أمجد قاطعنا فجأة وهو يقول ببطء:

حين يصير الحرف في مدينة

حشيشة يمنعها القانون

ويصبح التفكير

والأفيون..

جريمة يطالها القانون

حين يصير الناس في مدينة

ضفادعا مفقوءة العيون

فلا يثورون ولا يشكون

ولا يغنون ولا يبكون

ولا يموتون ولا يحيون

تحترق الغابات، والأطفال، والأزهار

تحترق الثمار

ويصبح الإنسان في موطنه

أذل من صرصار

لم يفه عمرو، بينما بقيت أنا محملقا بحلقات الدخان التي خرجت مع آخر كلمة نطقها أمجد، ظللنا صامتين لدقائق قبل أن يسأل عمرو:

- نزار ؟
- من غيره !

تدخلت:

- أي قصيدة ؟ سأكتبها في دفتري.
- المثلون

سأل عمرو:

- سترحل عن المجلة ؟
- نعم

صحت بحماس:

- وأنا معك.

(5)

ها قد عادت المدارس..

حالة اكتئاب تنتابني كلما أتذكر أنني سأكون مطالبا بالذهاب للمدرسة من حين إلى آخر، لماذا تصر الدنيا على أن تضيق علي كالتابوت ؟ لا أنكر أن د. كمال كان يقوم بدوره كاملا في منحي إجازات لأسباب وهمية، لكن هذا ليس كفيلا بانتزاعي من الاكتئاب الذي يصيبني بمجرد التفكير في الذهاب إلى المدرسة حتى ولو بشكل غير منتظم، بخلاف قرف الاستذكار وضغط أبي علي لأذاكر وأعوض ما يراه مجموعا مخيبا لآماله... لكن لا بأس، عام سينقضي بشكل أو بآخر..

(6)

قلت اتصالاتي بأمجد وعمرو وسارة بسبب عودة موسم الدراسة، وبسبب انسحابي وأمجد من المجلة، صحيح أن عمرو لازال في المجلة يكتب،

وصحيح أنه تولى الإشراف على صفحة الأدب، وكثيرا ما طالبني بأن أرسل له جديدي من القصص، خاصة وأنه كان قد أبدى إعجابا بقصة (سيد) التي بدأتها في الإسكندرية و كانت لاتزال قيد الكتابة، إلا أنني كنت أرفض دوما، أرفض مجرد زيارة المجلة أصلا، لذا كنت أتحين أي فرصة لأتصل به أو بسارة، خاصة أن أمجد كان قد عاد للأردن في زيارة منذ أسبوع، ولم يحدد موعدا لعودته، لذا لم أتأخر في تلبية دعوة سارة لزيارتها..

كالعادة داهمتني بقبلتها الطويلة التي تخدرني، كانت قد أعدت الحشيش والشراب، جلست وهي في حضني تشرب من جوينت في يدها بنهم، سألتني بين نفسين:

- لم أرك منذ ثلاثة أسابيع، ألم تشتق لي ؟
- بالطبع اشتقت لك، لكنك تعرفين ظروف دراستي.
- تبا للدراسة وتبا لأبيك الذي يريد أن يقاسمني إياك.

قلت معاتبا:

- سارة !
- تسأل عنك وسائد سريري.

ابتسمت لتعبيرها، دوما يقول ملاكي كلاما يأسرني.

- لذلك لم تتصلي بي الأسابيع الثلاث المنقضية ؟
- أنا أيضا يا آسر لدي مشاغلي الخاصة، هذا عامي الأخير في القاهرة وسأعود إلى الديار بمجرد تسلم الشهادة.

كنت كلما تذكرت أنني لـن أراهـا مجـددا بعـد انقـضاء العـام الـدراسي تدهمني غصة، وأشعر بحزن بالغ.

- أتعلم يا آسر، لا مـذاق للحـشيش بـدونك، أشـعر أننـي أشرب لفافـة نعناع لا حشيش.

قالتها وقامت لتمنحني ذاك الـ **Back** الأنثوي النـاعم، وكـأنني أدخـن حشيش **light** !

أخذت أسعل بعد أن كتمت النفس في صدري طويلا، ورحـت أراقبهـا وهي تسحب نفسا طويلا جدا، لكن - ولدهشتي - وجـدتها تلفـظ الـدخان من فمها لتسحبه من أنفها ! حملقت بها كثيرا وهي مندمجـة في متابعـة الـدخان المتصاعد من فمها لأنفها في المرآة، بينما ظللت أنا جامدا بمكـاني، كانـت تلـك هي المرة الأولى التي أراها تدخن بهذه الطريقة، سألتها:

- من علمك هذه الطريقة في الشرب ؟

صمتت قليلا قبل أن ترد:

- صديقة لي.

أجبت وأنا أحاول ضبط انفعالي:

- صديقة أم صديق ؟

نظرت لي باستغراب وقالت:

- ماذا تقصد ؟
- أقصد أمجد.

تسمرت مكانها لوهلة ثم قالت وكأنها تتذكر:

- أمجد ؟! من أمجد ؟

ثم كأنها قد تذكرت:

- أها.. صديقك الشاعر ؟

سألتها بحدة:

- هل نمتِ مع أمجد ؟

ردت بانفعال:

- آسر ! ماذا دهاك ؟
- ألم يزرك أمجد هنا ؟
- ولماذا يزورني ؟
- أحيانا عندما تمل بعض الجياد خيالها أو تفتقده، تتجه لأقرب (عربجي) كي يكون خيالا لها.

قالت بتبرم:

- انتق ألفاظك وأنت تكلمني، وانتق ألفاظك وأنت تتحدث عن شخص غير موجود.

صرخت بأعلى صوتي وأنا في حالة هيستيرية:

- لاتوجّهيني.
- لماذا أمجد بالذات ؟
- لأنه قال الكلام المكتوب على باب ثلاجتك بالحرف، وعندما سألته إن كان قد قرأ رواية الخبز الحافي، نفى.
- وهل من الضروري أن يكون قد قرأها عندي أنا بالذات؟ صدفة.

- وصدفة أيضا أن تختفي تلك القصاصة تحديدا دونا عن الأخريات ؟
- أجل، غيرتها، ليس بالأمر الجيد أن يرى كل زائر لي كلاما مثل كلمات محمد شكري.
- الصدف لا تجتمع بهذا النظام والتكرار يا سارة إلا في دروس الإحصاء.

وضعت يدها على كتفي محاولة تهدئتي، غير أنني دفعت يدها عني، نظرت لي وهي موشكة على البكاء، لا أنكر أنني أشفقت عليها، لكن كبريائي وغضبي كانا يقودانني دون وعي، قالت بصوت متهدج:

- عرفتني إليه يوم عيد ميلادك ولم أره بعدها.

ارتميتُ على الكنبة، دفنتُ وجهي في كفيّ، جلستْ هي على ركبتيها أمامي ووضعت كفيها الصغيرين على رجليّ وهي تقول:

- صدقني، لم يفترض بي أن أراه مجددا ؟ حتى أنني لم أستلطفه عندما رأيته.

رفعتُ وجهي نحوها، وجدتُ الدموع تغمر وجهها، اشفقتُ عليها كثيرا، ابتسمتُ عندما رأيت دموعها تختلط بمخاطها وهي تنهنه كطفلة، ارتاحت هي لابتسامتي، مالت علي وقبلت جبهتي وهي تقول بصوتها المتهدج بين دموعها وابتسامة خافتة وأنفاسها التي تلفح وجهي:

- ثم كيف يفترض بي أن أحب أردنيا وأنا أمتلك أحد ملوك الفراعنة.

نظرت لها بإمعان ونهضت متجها نحو باب الشقة وأنا أخاطبها:

- سارة.. أنا لم أخبركِ أن أمجد أردني..

(7)

حاولت سارة مرارا وتكرارا الاتصال بي، بيد أني كنت قد طويت صفحتها من حياتي تماما، كلما رفضت الرد على مكالماتها زادتها، حتى يئست مني تماما..

ذاك اليوم راحت توالي إرسال رسائل قصيرة إلى هاتفي المحمول تحمل اعتذارات ووعود وتوسلات، يومها عدت للبيت شبه منهار، صديقاي الأقرب إلى قلبي غدرا بي، بكيت يومها ندما عليهما، أو بالأحرى على الخديعة وعلى منظري أمام نفسي وأنا أراني مهزوما..

بعد رسالتها العاشرة تقريبا استللت أجندة قصاصاتي، ورحت أبحث عن أبيات كنت قد دونتها بالدفتر منذ زمن، وعندما وجدتها سارعت بنقلها إلى هاتفي وأرسلتها لها في رسالة:

"أنا لست أغفر كالمسيح ولن أدير إليك خدي
هذا الذي يسعى إليك الآن لا أرضاه عبدي
فليمضغ النهد الذي خلفته أنقاض نهدِ
وليلعق لعابي الذي خلفته في شفتيك

يكفيه ذلا أنه قد جاء ماء البئر بعدي"

لأنني كنت - وفي مكان قصي من ذاكرتي - حفرت حفرة تسع شخصين، ورميت رفاتيهما فيها، ثم أهلت عليها الكثير من التراب..

وقررت أن أنسى..

(الجزء الثاني)

(الفصل الأول)

(ما الذي في القاهرة ليعتبروها مدينة جميلة ؟!بل ليعتبروها مدينة في الأساس تستحق الحياة فيها ؟! ..انظر بشكل أعمق و تأمل أنت تعيش في الوهم، و تبحث عن القاهرة غير موجودة إلا في خيالك، لن تقابل إبراهيم منصور في هذا الشارع و لن تجلس في هذا البار مع أمل دنقل، و هنا يستحيل أن تجد نجيب محفوظ يحتسى قهوته، حتى الذكريات التي ذهبت لم تعد كما كانت، الحديقة التي قبلت فيها فتاتك لأول مرة أصبح مكانها عمارة تعجز عن عد أدوارها، الشوارع التي حملتك أنت و أصدقائك تمتلئ بالسيارات و على جانبيها أكوام من الزبالة و روث الشحاذين و الفقراء الذين لا يملكون ربع جنيه للحمامات العامة. افتح عينك... هذه المدينة ليست سوى جردل خراء كبير. يضم، عمارات المهندسين و مدينة نصر الرخامية المشوهة للروح و عمارات وسط البلد و الزمالك المشبعة بمجد الحقبة الاستعمارية و الواقعة الآن تحت أنياب تشويه الحقبة المباركيه.. تلوث و دخان، ازدحام قاتل، صعوبة في المواصلات، أناس و بشر مكتئبة لا تضحك في الشوارع، نسوان منقبة، و عاهرات قبيحات يبحثن عن سرير و وجبة غداء، سياح بلهاء يدخنون الشيشة، جنود أمن مركزي غارقين في البؤس، سيارات مرسيدس و بورش و جاجور، مترو بلا تكييف و لا فتحة تهوية يصلح كمكان للسونا، مطاعم غير

صحية، ميكروباصات و وسائل نقل غير إنسانية، شرائط لناس تجعر و تبيع الأفيون باسم الله، رصيف ممتد في كل مكان تذهب بنظرك فيه.. حتى الليل.. تلك اللحظة الوحيدة التي تحاول أن تظفر بها، لتحاول أن تعيش مع وهمك الخاص، لتسرح على النيل المخنوق و تتأمل كراهب بوذي تجربتك في الحياة، ستقطعها عليك تلك المدينة بسيارة لرجل شاذ جنسيا يبحث عن رفيق له، أو كمين شرطه يستظرف دمه عليك.

هذه المدينة لا يوجد فيها ما يستحق الحياة.)

(شميت هواكِ، فبصقت على السماء ــ من مدونة المدون: إبليس)

(1)

لأهرب من هذا الحزن كان من المنطقي بالنسبة إلي، أن أجد أشياء أدفن فيها وقتي الذي صار مطاطا وزائدا عن الحاجة بعد أن جرى ما جرى، قسمت أولوياتي إلى عدة بنود، على رأسها المذاكرة، قررت أن أحصل على مجموع يناسب كم الفراغ الذي خلفته تلك التجربة، وطبعا لم أنس الكتابة والقراءة، أعددت قائمة جديدة بأسماء الكتب التي سأقرأها، ولأنني لاحظت أني قرأت روايات عربية أكثر من غيرها، قررت أن أحدث توازنا وأن أتجه لقراءة كتاب غير عرب، وضعت قائمة تضم أعمال: دانييل ستيل، إسماعيل قدري، إووي كينزابورو، ماركيز، أنطونيو تابوكي، دان براون، عزيز نسين، يوكيو ميشيما، وول شوينكا، جورج أمادو، جونتر جراس، خوان مياس و أمبرتو إيكو... وغيرهم الكثيرين، وطبعا كان للكتابة نصيب من الوقت، أحيانا تكون الكتابة خلاصا، أن تواري خيباتك الورق أمر مريح لا يقدره سوى من يستطيع أن يمسك قلما أو - تبعا لتداعيات العولمة - ينقر على لوحة المفاتيح، (إلى من يتأمل جثة حب في طور التعفن، لا تحتفظ بحب ميت في براد الذاكرة، أُكتب، لمثل هذا خلقت الروايات).. هذا ما قالته أحلام مستغانمي، وهذا ما سأفعله..

ولا أنكر أن أبي كان دائم التشجيع لي فيما يتعلق بالكتابة والقراءة، وقد تكلم مع صديقه مدرس الأدب العربي الحديث بكلية الآداب ليقرأ ما أكتبه كي يوجهني..

بقي بندان عاهدت نفسي عليهما، الأول هو الصلاة، قررت المواظبة عليها، أمي التي لاحظت همي البادي على قسماتي، لم تشأ أن تقحم نفسها في عالمي عندما سألتني لماذا أبدو متضايقا ؟ وعندما راوغتها، نصحتني أن أواظب على الصلاة..

وأخيرا قررت أن أعطي نفسي فرصة للتصالح مع القاهرة، صحيح أنه تصالح مشروط، لكنه في نهاية الأمر تصالح، سأقدم تنازلات، وعليها هي الأخرى أن تبدي حسن نواياها تجاهي..

(2)

في المترو كانت المعركة..

ركبت من محطة حلوان راجعا من زيارة بعض الأقارب متجها إلى محطة أنور السادات، أجلس ممسكا بـ (الطوف الحجري) - محاولا التغاضي عن الضوضاء ورائحة العرق وبعض قطع اللحم الأبيض - مصوبا تركيزي كله في سطور الرواية، يحدوني أمل ورغبة غير مبررة في الزواج على طريقة ساراماجو، أكتب شيئا فتعجب به "بيلار" مصرية أو عربية وتأتيني إلى القاهرة ويحدث كل خير !

لن أكذب، صفحات معدودة هي التي استطعت قراءتها، لأن قرب فترة الانتخابات البرلمانية كان محور حديث أغلب الركاب،ولأن الشاب المستشيخ

الجالس جواري أصر أن يقتسم حسنات قراءة القرآن معنا فرفع صوته بشكل لافت وراح يقرأ..

لم أحاول مناقشته، وتركت الأمر لذوقه وللرأي العام في العربة، وصلت السماعة إلى الموبايل ورحت أفتش في الراديو عن موسيقى هادئة أسمعها، جميل أن يغفو المرء على نغمات قادرة دونما لأي على أن تتحكم في جهازه العصبي وارخاء عضلاته..

بعد دقائق مختلسة وسط حرارة الجو وضوضاء المكان، استيقظت من غفوتي، خلعت السماعة عن أذني و حاولت القراءة مجددا، ولما فشلت سلمت أمري للوقت ورحت أراقب المارة أو أرمي أذنيّ تحت أي شخصين يتحدثان.. كان هذا عندما وجدت شيخنا يرفع صوته أكثر وهو ينظر تجاه سيدة تجلس جواره مع شابة خمنتُ أنها بنتها، كان مولانا يردد دون سأم (قل يا أهل الكتاب) وهو ينظر تجاه السيدة التي تعرف دون جهد من مظهرها أنها مسيحية، راح الشاب يرفع صوته وهو ينظر لها وللفتاة ويردد جملته، استأت من الموقف، تعمدت السيدة إخراج سلسلة بها صليب كانت متوارية في ملابسها ونظرت للشاب الملتح نظرة غاضبة، فعلت الفتاة كما فعلت أمها، حاول شاب -يبدو بأواخر العشرينيات أو أصغر قليلا - يقف جوار الباب التدخل وهو يردد بنظرة عتاب (عيب يا أستاذ).. إلا أن الشيخ الصادح نظر له بقرف ورد:

- أرأيت الذي ينهى ؟
- لكن تصرفاتك هذه ليست بالتي هي أحسن، ما تقوم به حرام.

- من أنت كي تفتي وما تعليمك ؟
- يا أخي أنا لا أفتي، أوصانا الرسول بأقباط مصر، ألا..

قاطعه الملتحي:

- الأقباط كفوا عن أن يكونوا أقباطا منذ زمن، القرآن يقول أن الإنجيل حُرف، أم أن لك رأيا آخرا ؟ فعلا وأكثرهم لا يعلمون.

ابتسم الرجل العشريني وقال محافظا على بسمته:

- فلتخبرنا إذا بشهادتك وعملك أيها القطب العلامة.

انفعل الشيخ وقال بصوت عال:

- لاتسخر مني ولا تحكم علي من شكلي، لايسخر قوم من قوم، أنا عبد الله في أرضه و أعمل بالدعوة.
- وما الجهة التي صرحت لك بالدعوة ؟ طالبان ؟
- أنت رجل حقير ومنافق.

بسرعة مباغتة استل الرجل العشريني حزام بنطاله وضرب الشيخ به على بطنه وهو يصيح: (وانت هيطلع ميتين أمك)، قفزت مسرعا أنا وبعض الركاب للفض بينهما، أمسك الرجل بالشيخ من كمه وهو يصيح

- على الشرطة يا متخلف.

رد الشيخ بثقة:

- خفت بصراحة، هيا إلى الشرطة.

طلباني كشاهد أنا وبعض الركاب، نزلت مهعم واتجهنا لشرطة المحطة، حكيا ما حدث، وعندما سألني الضابط، رويت ما حدث فسألني الضابط بالختام:

- من الغلطان ؟
- هذا.

وأشرت تجاه الشيخ، أقبل الضابط صوب الرجلين ووضع يده على جيب بنطال الشاب، فتراجع هذا الأخير وقال:

- ماذا تفعل حضرتك ؟ بطاقتي سأعطيك إيها ما إن تطلبها، لكن لاتفتشني.. أنا جامعي مثلي مثلك، وأظن أنه من الواضح أنني ابن ناس.

ثم مخرجا البطاقة مناولا الضابط إياها:

- أنا محاسب في بنك وإليك الكارنيه.

عاين الضابط الكارنيه والبطاقة، ثم ردهما لصاحبهما، ونظر إلى الشيخ:

- بطاقتك.

ناوله الشيخ البطاقة، عاينها الضابط ثم سأله:

- ماذا تعمل ؟
- بالدعوة، أدعو إلى الإسلام..

ابتسم الضابط وقال متهكما:

- فضيلتك تعمل بالدعوة ؟

نظر تجاهنا وأشار لنا بالانصراف، ثم نظر للشيخ وقال:

- ابق أنت.. واضح إن حكايتك مسلية.

(3)

مازالت رؤيا تتمنع..

سيل الرسائل بيننا صار مملا بالنسبة لي، وهي لا تكف عن المماطلة والتسويف كلما طلبت منها أن أراها، وعندما هاتفتها أغلقت الخط في وجهي فور أن عرفت من أنا، أقصى ما كانت تمنحني إياه هو أن تقرأ جديدي الذي أرسله لها بالبريد الإلكتروني لتبدي رأيا فيه.. أو أن تمنحني سويعات أسبوعيا أحادثها فيها عن طريق الـ **Chat**

لماذا رؤيا بالذات ؟ لماذا ألهث خلفها ولا أبالي ؟ أتمنى من الله ألا يكون هذا مجرد هروب من فتاة إلى أخرى.. لست بالضعف الذي يدفعني لارتكاب أمر كهذا!

اعترَضَت بشدة على قصتي الأخيرة، نعتتني في إيميلها الأخير بالوقح، وضعت لي خطوطا تحت بعض الألفاظ وقالت: (أن تورد ألفاظا كهذه في قصة يفترض بها أنها أدب، يثير تقززي، هذه قلة أدب وليست بشكل أو بآخر أدبا، اسمح لي يا آسر.. كل إناء بيما فيه ينضح، وقصتك تتمتع بقدر وافر من الوقاحة)..

ولما حاولت أن أشرح لها أن تلك الألفاظ لست أنا مخترعها ولم آت بها من الفضاء وأنها واقع بحت، أصرت على رأيها وسألتني (لو أن لك أختا، هل تقبل أن تقرأ مثل تلك الكلمات ؟)

(4)

طلب مني أبي مرافقته لزيارة صـديقه د.نـصّار الأسـتاذ الجـامعي الـذي سيتولى توجيهي أدبيا، توليت أنا القيادة وانطلقنا صوب حـي مـصر الجديـدة، منذ أمد لم أخرج رفقة أبي، تقريبا منذ عام، أكثر أو أقل بشهور، لذلك لم أشـعر بالألفة أثناء تواجدي معه، ربـما أيـضا لأن هـذه المـرة الأولى التـي أقـود فيهـا السيارة وهو معي، حقا لم يخلق الأبناء والآباء ليعيشوا تحت سقف واحد.

مد أبي يده ودس شريطا في الكاسيت، ليغلف صوت أم كلثـوم الـسيارة، ابتسمت وقلت مازحا:

- يا بابا سيارة حديثة كهـذه لا تناسـبها أم كلثـوم، فلـنكن ديمقـراطيين، سأسمعك شريطا، وإن لم يرقك، سنفتح الراديو ونستمع لشيء يرضينا نحن الإثنين.

ابتسم ورد:

- اللماضة دي كرفة مصرية.
- شكرا.. قلت إيه ؟
- سمّعنا يا سيدي.

تناولت من جـواري شريطـين أحـدهما لبهـاء سـلطان والآخـر لماجـدة الرومي وقلت:

- اختر.

لم ينظر حتى تجاه الشريطين، تناول أحدهما ودسه في الكاسيت فعلا صوت بهاء سلطان وهو يغني أغنيته الأشهر (يا ترى)، صمتُ ثوان منتظرا تعليق أبي الذي سألني:

- ما اسمه ؟
- بهاء سلطان، ما رأيك ؟
- جيد، لكن..

قاطعته:

- لكن ماذا ؟ هذا شخص له صوت مميز واختار لحن جيد وكلمات معقولة، لم يختر كلمات منقرضة مثل ذاك الذي يقول (من نظرة لقيتني صريع الهوى).. صريع ؟ بالذمة هل استخدمت كلمة صريع هذه إلا في مواضيع التعبير ؟

عاود الابتسام مجددا:

- فعلا لمض..
- سمها كيفما تشاء، أنا رجل أحب الجمال، الموسيقى خلقت للمتعة.
- ألا تمتعك أم كلثوم ؟ أتعرف كم كانت محبوبة ؟ ليس من المصريين فقط، بل من العرب كلهم، أتختلف معي في قوة صوتها ؟ يقال أن حنجرتها في متحف في فرنسا..

ياللكلاسيكيين ! لا يكفون عن اجترار الماضي وعظمته

- بابا.. أم كلثوم صوتها قوي، قوي جدا، تماما مثل السيارة الـ **Lada** الروسي، مجرد توصيلة، قوة فقط، حتى أن تلك كانت الثقافة

الاشتراكية، يريدون قوة فقط، عمل فقط، لكن أين الحياة من كل هـذا ؟ أين الجمال ؟ الجمال ستجده في التويوتا والرينو والمرسيدس و..

- خلاص يا فيلسوف، قلنا أن صوته حلو والأغنية ممتعة..

ألقمني حجرا، عدنا للصمت، راح أبي يدندن مع الأغـاني، بيـنما ركـزت أنا في الطريق، الطرق هنا تجبرك عـلى أن تبـذل مجهـودا ذهنيـا جبـارا، تـذكرني بالمستوى الأصعب من ألعاب قيادة السـيارات في الــ **playstation**، حفـر ومطبات ووهاد وقطع حجرية وحديدية وزجاجيـة منثـورة بعـشوائية منظمـة على الطريق وسائقون يشعرونك أنهم خرجوا لتوهم من حانات وهم سكارى ولجان مرورية كثيرة.... لم يخطئ من أطلق على الطريـق الـدائري الـذي يحـيط بالقاهرة (ملتقى الأرواح).

- أرأيت تلك اليافطة ؟

داهمني أبي بسؤاله، أجبت:

- أي يافطة ؟

- تلك التي مررنا جوارها للتو، لم أقرأها كاملة، كتب عليهـا (الأجنـة في بطون أمهاتهن يبـايعون مـسعد حجـاج لتمثيـل أبنـاء..) ولم يـسعفني الوقت لأكملها.

ضحكت، ضحك أبي معي، تزامن ذلك مع مرورنا جـوار لجنـة مروريـة أقيمت في الاتجاه المعاكس لنا، قال أبي:

- المرة القادمـة سـيكتبون (الحيوانـات المنويـة في خـصى أبـائهم يبـايعون فلانا..) والله حرام.

انفجرت من الضحك إثر تعليق أبي، عندما يكون هـذا الرجـل في مـزاج رائق يتحفني بتعليقاته.

- ركز في الطريق يا آسر..
- حاضر. أنا ماشي زي الفل.. ولا إيه ؟
- آه زي الفل، واسمع، نبه القادمين من الاتجاه الآخر أن هناك لجنة.

بلعت دهشتي وتظاهرت بعدم الفهم وسألته:

- كيف ؟
- أصدر لهم (فلاشات).

قلت داخل حدود عقلي (ها قد ابتلعته الدوامة)

- حاضر.

ونفذت طلبه..

(5)

اتصل عمرو بي، سعدت كثيرا لسماع صوته، يغيب علي كثيرا ثـم يظهـر بغتة، رحنا نتبادل الأخبار وحكينا كثيرا قبل أن يقول:

- عندي خبرين، أحدهما جيد والآخر سيء، بأيها نبدأ ؟
- بالجيد.
- حسنا، هناك مجلة شبابية شهرية جديدة ستصدر، طلبوا منـي الانـضمام إليهم، لكنك تعرف أني بالكاد أجـد وقـت للمجلـة هنـا، تعلـم أني في

عامي الأخير بالكلية وعلي أن أنجح، سيفجّرني أبي إن لم أنجح هذا العام، لذا اعتذرت لهم، لكني رشحتك للعمل معهم، وأرسلت لهم بعضا من قصصك، وأعجبتهم، هل تمانع أن تنضم لهم ؟

- ممم، دعني أفكر، يحتاج هذا الأمر لتوضيحات منك عن الخط العام للمجلة، ويحتاج لتفكير.
- سأحكي لك، لكن دعني أخبرك الخبر السيء.

توجست:

- خيرا ؟
- عاد أمجد منذ 3 أسابيع.
- وما شأني ؟ أنت تعلم كيف سارت الأمور.
- تمهل فقط، سأحكي لك، عاتبته لما حصل، حتى أني قلت له المثل (قعدة الراجل بـ 100 ست)، فطالبني بإكمال المثل، قلت: (لكن لو جات الست، يغور الراجل)، فقال لي: (هاقد قلتها بلسانك، اسمع يا عمرو، أنا لم أخسر شيء، والفتاة هي التي اختارتني، إذا كنت ترى انني خسرت آسر، فقد خسرني آسر وخسرها، ثم كيف تلومني وأنت تعلم أنها لم تكن تحبه ؟ وإلا ما كانت اختارتني أنا)، سألته (بنظرية زوايا المثلث، كسبت سارة، فماذا خسرت في المقابل ؟)، ولم يستطع الرد.

استمعت لكل ما قاله عمرو، صمت برهة ثم سألته:

- هل يتقابلان إلى الآن ؟
- لا أعلم.

- ربنا يهني سعيد بسعيدة، عمرو، دعك من هذا الأمر فقد طويته، إحكِ لي، كيف يفكرون في المجلة الجديدة ؟ وما اسمها ؟
- اسمع يا سيدي..

(الفصل الثاني)

(ضاقت فلما استحكمت حلقاتها   فرجت وكنت أظنها لا تفرج)

(الإمام الشافعي)

(1)

في الواقع كنت اندهش من طقوس الكتابة التي أتبعهـا، أدخـل حجـرتي وأوصد الباب، أسحب الكومبيـوتر إلى الـشرفة وأشـعل سـيجارة، وأشرع في الكتابة، ما إن أفرغ من سيجارتي حتى أعود فأضع الكومبيوتر في الغرفة مجددا، لا أستطيع أن أستمع إلى أي موسيقى، حتى أن أقـل الأصـوات الـصادرة مـن المنزل أو الشارع كانت توقفني، لاحظت أيضا أن كتابتي تختلف تبعا لإضـاءة الغرفة، إن تركت الـضوء مـشعلا كتبـت أشـياء خفيفـة تـصب أغلبهـا عـلى الوصف البصري أو ربما بعض الرومانسيات، حتى أنني كنت أمل منهـا عنـد مراجعتها، ثم ترتفع حدة اللغة والأحـداث إن أنـا أطفـأت الـضوء و أضـأت (الأباجورة)، أما إذا اكتفيت بمجرد الضوء الصادر من الـشاشة، فقـد أكتـب قصص رعب ! هكذا كان الضوء يتحكم بكتابتي.

أحيانا كنت أجلس أمام شاشـة الكومبيـوتر بالـساعات ولا أسـتطيع أن أخط حرفا، وأحيانـا كنـت أسـتيقظ مـن النـوم والأفكـار مكدسـة في رأسي، فأسحب هاتفي المحمول، وأدون الخطوط الرئيسية وعناوين الأفكار، أخزنهـا ثم أكمل نوم، أما إذا داهمتني الكتابة وأنا خـارج المنـزل، فكنـت أخزنهـا عـلى الجوال إذا ما كانت أفكارا قابلة للانتظار، أما إن ألحت علي فكـرة مـا، فكنـت أستند إلى سيارة صافة وأكتب أو أجلس عـلى مقهـى وأفـرغ مـا في رأسي عـلى الورق، حتى أن أحد العاملين بالمقهى الذي أرتاده كـان لا ينـاديني إلا بكلمـة

واحدة.. (الفنان)، كيف أنت يـا فنـان ؟ ألـن تكتـب قـصة حيـاتي يـا فنـان ؟ وعندما اسأله ما الذي يـراه مهـما في حياتـه ويـستحق الكتابـة كـان يقـول لي: (عندك 75 مليون حياتهم تصلح أن تحَوَّل إلى مسلسلات)، ثم يعـاود مزاحـه ويقول: (لما تأخذ جائزة نوبل يـا فنـان.. فيفتـي فيفتـي).. فأضـحك وأعـاود الكتبة..

أحيانا كنت أعود متأخرا مصطحبا معـي زجاجـة بـيرة **ID** بـالبطيخ أو الليمون، أشربها وأتبعها بسيجارة و أشرع في الكتابـة، وأحيانـا أخـرى كنـت أعود للمنزل ثملا أو مسطولا، وهذه هي الحالة الوحيدة التي كنت أدخل فيها مباشرة من باب البيت إلى الكومبيـوتر وأبـدأ فـورا الكتابـة، وفي اليـوم التـالي أستيقظ لأقرأ وأراجع ما كتبتـه، وللعجـب كنـت أفاجـأ بأشـياء لا أتـذكرها وأحداثا لم تكن ضمن مخططي للقصة، وهذا ما يحدث معـي وبـشدة في قـصتي الأخيرة (سيد)، تلك القصة التي كتبت جزء منها في الإسكندرية، وجزء آخـر هنا في القاهرة، وإلى هذه اللحظة لم أحدد علام ستنتهي..

أما – وهذه هي الحالة الأصعب – عنـدما كنـت أبقـى أسـبوعا مـثلا أو عشرة أيام دون كتابة، فكان الحل الوحيـد لي هـو أن أفـتح دفـتر القـصاصات وأتصفحه، أو أبحث عن رواية ما وأقرأها، ثم أجرب بعـدها أن أكتـب، فـإن فشلت، أعاود الكرة مع كتاب آخر وهكذا حتى أنجح في الكتابة مجددا..

وها قد جاوزت الصفحة الثانية عشرة في القـصة – التـي مـرت بجميـع الطقوس وكل الظروف – ولم أنهها حتى الآن، أو بالأحرى لا أعـرف إن كـان

يتعين علي أن أنهيها عند هذا الحد أم لا ؟ لـذلك قـررت أن أستـشير د. نـصّار صديق أبي وأستاذي.

(2)

عندما التفتت رؤيا المصطفى لتجدني جالسا جوارهـا – في المركـز الـذي تحضر فيه دروس تقوية في مادة الفلسفة – بُهتت..

ابتسمت وهزت رأسها ثم عاودت النظر في الكتاب الملقـى أمامهـا ريـثما يدخل المدرس، تظاهرت انا الآخر بانشغالي بما في يدي، كنت أحاول تخمين ما تفكر فيه، لكني فضلت أن أعرف ذلك منها بنفسي بعد الـدرس، لـذا تابعـت الدرس بتيقظ، حتى انقضت الساعتان، فـسارعت بـالخروج منتظـرا إياهـا في مكان بعيد عن الأعـين، ولمـا رأيتهـا قادمـة، اقتربـت منهـا وسـلمت بهـدوء، سألتني:

- لم أكن أعرف أنك معنا في ذات الدرس، والغريب أن منزلك بعيد جـدا عن مكان المركز، لماذا اخترت هذا المركز بالذات ؟
- تسألين سؤالا وتجيبين عليه، هذا هو الغريب.

نظرت لي باستغراب وقالت:

- أرجوك لمرة كن واضحا.
- باختصار انا هنا لأجلك، أردت أن أراكِ، فجئت، هذا كل ما في الأمر.

توقعت أن توبخني وكنت مستعدا لذلك، لكـن الغريـب أنهـا أطرقـت، واستمرت بالمشي وأنا جوارها، ولما طال صمتها حثثتها على الكلام فقالت:

- أنت غريب، شخص غريب جدا، هل هذه مطاردة ؟ مـا بـين الرسـائل والإيميلات والهاتف والجديد أنك تأتي إلى المركز !

(آها صاحبتنا بدأت تلين) هكذا فكرت، وبناء عليه رددت:

- وهل هذا يضايقك ؟
- بصراحة ؟
- بكل صراحة.
- ممم، لا أعرف.

مع الحرف الأخير من جملتها أيقنت أنني وأخيرا كسرت الحـاجز الـذي طال بقاؤه، بيد إني فضلت أن أتبع المثل (البنت زي طابع البوسطة، تف عليهـا تلزق) هذه هي التعليمات:

- عموما، أنا آسف على قدومي، عندما تعرفي خبريني.

وتركتها فورا وغادرت.

(3)

في خطوة غريبة هاتفني ابن عمي الذي يكبرني بخمس سـنوات ودعـاني لنحتسي شيئا ما في أي مقهى، في الحقيقة اندهشت، ها هو يحادثني بعد انقـضاء

أكثر من عام على وجودي بمصر ! لكني لبيت الدعوة، وجدت أنه من غير اللائق أن أرفضها، مر علي بالسيارة واصطحبني.

في الطريق رحنا نتكلم عن الكرة والأهلي والزمالك وما إلى هنالك، راح يحكي لي بعض المواقف التي واجهها في الجيش الذي انهى فترة خدمته فيه منذ شهر تقريبا، كانت حكاياه مسلية، خصوصا عن ذاك الشقي الذي لم يعد للجيش فور انقضاء إجازته، وعندما حوكم محكمة عسكرية راح يبكي وينتحب وقال للقاضي - وسط عبراته - قصة ملفقة مفادها أنه تأخر لأنه كان يبحث في محافظات مصر عن والدته التي هربت مع عشيقها !!

عندما وصلنا إلى الكافيه الواقع في منطقة جامعة الدول، فوجئت أن ابن عمي طلب من النادل أن يحضر نرجيلتين ! ثم قال قبل أن يترك لي فرصة للاعتراض:

- أعرف أنك تدخن الشيشة، ولهذا أحضرتك إلى هنا.

ولما رأى علامة التعجب مرتسمة بين عيني، استطرد:

- الموضوع وما فيه أن أباك كان عندنا في البيت منذ أيام، وتحدث معي أنا وأبي عن تشككه أنك قد تكون تدخن السجائر وربما الشيشة، وكلفني بمعرفة الحقيقة كاملة منك، ولأنني مررت بهذا الموقف منذ سنوات، قررت أن أحذرك، أبوك بدأ يتعقبك، وبدأ يشك فيك، أعواد ثقاب تجدها والدتك في جيب سترتك من حين لآخر وهي تغسلها، هالات السواد التي بدأت تتكون حول عينيك، ملابسك المشبعة برائحة الدخان.. - ثم مشيرا للقميص الذي أرتديه - هل رأى أحد هذه

اللسعة الصغيرة في القميص ؟ يستحسن ألا يراها أحد، تخلص من هذا القميص، لأن هذه النقرة ليست بسبب فحم شيشة أو لهب سيجارة، هل تفهمني ؟

كنت بصراحة أستمع لكلماته والرعب يسكن كل خلية في جسدي، ماذا سيحدث لو اكتشف أبي أني أدخن ؟ أو أشرب الشيشية ؟ والكارثة لو اكتشف أنني أدخن الحشيش ؟! سألته:

- هل تعرف سبب هذه اللسعة ؟

بثقة رد:

- الحشيش طبعا.. إلا إذا خيبت ظني وقلت لي أنها بسبب جوينت بانجو.. سأغضب منك حينها، البانجو مزاج البهائم والقرود.

حينذاك، لو سمحت للشخرة التي كانت منتصبة في حلقي كرمح أن تخرج، لشرخت جدران المقهى، قلت له بلهفة وقلق:

- نادر، هل ستخبره ؟

ابتسم:

- طبعا لا، ما كنت حذرتك لو أني أنوي ان أخبر أحدا، بل أقول الحمدلله، أخيرا ظهر في العائلة منحرف آخر غيري أستطيع أن أشرب برفقته.

وصل النادل معه النرجيلتين، وضع واحدة لنادر وأخرى لي، عاينت الشيشة ثم قلت للنادل:

- غيرها، معسل سلوم بدلا من التفاح لو سمحت.

تهلل نادر وهتف:

- يا معلم ! انت كدا تعجبني..

انصرف النادل، راح نادر يمص نرجيلته بشراهة، وأخذت انا أفكر في الورطة التي وقعت فيها، قاطعني نادر وهو يشير تجاه سيدة دخلت لتوها وجلست جوارنا على طاولة في الهواء الطلق:

- تفضل، دخلت وهي تترنح، ولم ترفع عينيها عن ذاك الشاب الجالس هناك..

ابتسمت ولم أعلق، قال مازحا:

- لالالا، ما أحبكش كدا، فك وانسى كل اللي قلته، أنا هروح الحمام، أرجع ألاقيك رايق.

هززت رأسي، ومضى هو صوب الحمام، تركت الشيشة و أشعلت سيجارة ورحت أفكر: (كيف لي أن أصدق أنه لن يخبر أبي ؟! لماذا لا يكون يستدرجني فقط للشرب أمامه وبعدها يذهب ليخبر أبي ؟!) ثم أعود وأقول لنفسي (وهل سيورط نفسه في شرب الحشيش معي لمجرد أن يخبر أبي ؟ حينها سأتحدث أنا أيضا وأفضحه وأقول أنه يشرب الحشيش.. لالا، هذا الشاب لا يبغي إيذائي)

رحت أتأمل الجالسين على المقهى، أغلبهن فتيات يرتدين ملابس ضيقة ويضعن أمامهن لابتوب أو يدخن الشيشة ويتحدثن مع شباب، القليل من العائلات، وتلك السيدة المترنحة التي فوجئت أنها تنظر لي، وزادت دهشتي

عندما نهضت صوبي ثم قالت بصوت خشن يشبه صوت الفتيان حديثي البلوغ:

- ممكن تولع لي ؟

ناولتها القداحة، غير أنها دست السيجارة بين شفتيها المكتنزتين ومالت علي حتى كدت أرى سرتها من فتحة الفانلة التي ترتديها وقالت:

- لا، ولع لي أنت.

لوهلة شعرت أنني رأيتها من قبل، هي ممثلة تظهر في أدوار ثانوية على حد ذاكرتي، أو إنها تشبهها تماما، أشعلت لها السيجارة وأنا أقول:

- من عيني.

ردت بغنج رخيص:

- تسلم عينك.

ثم ابتسمت وقالت:

- أنا ناهد..

كان ذاك الشيء القابع داخلي والذي ينبهني فور اقتراب أي فريسة قد تمدد وبدأ يصدر ذبذباته فقاطعتها قبل أن تكمل - برغم قرفي من كم المساحيق التي أهالتها على وجهها متجاهلة تقدمها في السن - وقلت مغازلا:

- هذا ما استنتجته أيضا.

لم يبد عليها فهم ماقلته، لكنها ضحكت عندما رأت ابتسامتي وعاودت سؤالها:

- ما اسمك ؟

- آسر.
- ما رأيك أن تكمل السهر معي يا حلو ؟

نظرت تجاه الحمام لأتأكد إذا ما كان نادر قد أتى أم لا، ولما لم أجده رددت عليها:

- للأسف صديقي معي، ولن يكون لطيفا أن أتركه وأجلس معك، ما رأيك لو تفتحين الـ Bluetooth الخاص بك ونكمل حديثنا به.

ابتسمت:

- ما شاء الله عليك دا انت جاهز.

عرفت عنوانها على البلوتوث، والغريب أنه كان (أجنّن بقميص النوم)، كدت أنفجر ضاحكا عندما أملتني إياه، فتحت البلوتوث الخاص بي وتناولت الشيشة التي تأخرت كثيرا حتى جاء نادر وراح يحكي لي عن المواقف المضحكة التي يواجهها مع أصدقاؤه عندما يشربون الحشيش أو (يتحولون) في لغته الخاصة، وفي ذات الوقت كنت أكتب رسائلي على الموبايل وأرسلها لها، وهي ترد علي، استمر ذاك الوضع قرابة ساعة، كنت أبذل مجهودا كبيرا، أجاري نادر في أحاديثه، وأجاري ناهد في رسائلها التي ختمتها بدعوة للسهر عندها، وعندما اعتذرت مجددا لها، قالت أنها ستجبرني على أن اوافق، ثم باغتتني بصورة عارية لها، وللصراحة قدر صدمتي قدر تقززي من منظرها وهي عارية، كانت ممتلئة جدا، واضح أن الملابس كانت تستر ترهلاتها، جسدها من ذاك النوع الذي قال عنه نجيب محفوظ (جسم بقري)، لذا ختمت رسائلنا

المتبادلة بأن اعطينها رقم هاتفي وأعطتني هي رقمها على وعد زائف مني بأن أحادثها.

(4)

هل أحبتني القاهرة ؟

هل قبلت بالصلح ؟

لا أعرف صراحة، لكنها قدمت لي ثلاث هدايا على التوالي، الأولى عندما استيقظت من النوم على رنين هاتفي لأقرأ رسالة من رؤيا نصها (**Please check your mail**)، ونهضت بعدها فورا لأرى أي أنباء سيحملها إيميلي، فوجدت اعتذارا صريحا منها على ردها السخيف وكلاما من نوعية: (أنت مرحب بك في أي وقت).

والثانية عندما هاتفني د.نصّار وهو في حالة سعادة عارمة، حيث قال لي:

- قصتك (سيد) أسطورية يا آسر، لا أصدق أن من كتبها لم يتم عامه التاسع عشر بعد، برافو عليك، أتعلم شيئا، قررت أن أضيفها للمنهج.

لم أستعب حينها ما قاله، سألته:

- عفوا ! حضرتك يا عمو ستضيف القصة لأي منهج ؟
- منهج طلاب كلية الآداب مادة الأدب الحديث.
- هل تعني أن القصة جيدة ؟
- يا بني لا تكن غبيا، قصتك رائعة بمعنى الكلمة، هات والدك أريد ان

أكلمه.

وبالطبع بقدر سعادتي كانت سعادة أبي الذي قال مبتسما (شكلك بتعرف تكتب يا ولد، على فكرة د.نصّار يريد منـك أن تـذهب معـه للجامعـة الأحـد القادم)..

و لم أكن لأصدق ما قالـه د.نـصّار إلا إذا رأيتـه بعينـي، وهـذا مـا كـان، ذهبت معه ودعاني لدخول المحاضرة، راح يشرح القصة للطلاب ثم أعطـاهم نسخة منها وطلب منهم أن يصوروها ويوزعوها عـلى أنفـسهم، وأخـيرا قـال بفخر (سأفجر المفاجأة، كاتب هذه القصة شاب لم يتمم عامه العشرين بعـد - ثم مشيرا صوبي - كاتب القصة هو آسر عبد الـرحمن بحـر، أو آسر بحـر كـما يوقع قصصه)

بعد المحاضرة اصطحبني إلى مكتبـه وقـدمني إلى زملائـه، جلـست معـه بضع دقائق ختمهم بجملـة واحـدة (لا تتوقـف عـن الكتابـة، أنـت قـصاص رائع).

أما الثالثة فكانت زيـارتي للمجلـة التـي رشـحني عمـرو للعمـل فيهـا، وحقيقة وجدت ترحابا وفكرا مرنا، والذي أدهشني أكثر أنهم طـالبوني بتـولي الإشراف على صفحة الأدب، وكانت هذه مفاجـأة بالنـسبة لي، لكنـي رحبـت بالعرض على سبيل ارضاء ذاتي وكنوع من التحدي، وضعت بالتخطيط معهم برنامجا للأعداد الخمس الأولى وحددت النصوص التي ستنشر واخترت بعض الشخصيات الأدبية لأجري معهم حوارات تناسب قارئ مجلة شبابية.

(5)

إن من البيان لسحرا.

وأنا سأسحرها، لا مانع أن أستفيد من موهبة من بها الله علي، لذلك كتبت قصة صغيرة لم تستغرق سوى ساعتين، قصة من ذاك النوع الذي يأسر البنات، لغة نزارية مغوية، كلمات عذبة وأحداث شبه أسطورية وبطل يشبهني وبطلة تشبهها وحبكة هشة، باختصار قصة تفصيل لم تكتب بمزاج، عمل قصديّ هدفه الإيقاع بها، الطيب صالح قال أن بطله "مصطفى سعيد" تكلم في الدين والسياسة والأدب والفن فربح معركته، ثمة تركيبة رابحة دائما، فإذا امتلكت تلك التركيبة أو ادعيتها حتى ستضفي على نفسك هالة من الجزيئات المغناطيسية.

لماذا لا ينشئون مدرسة للغواية ؟!

كانت قصتي تلك هي هدية صغيرة لرؤيا، تخيل كيف يكون انطباع فتاة في الثامنة عشر عندما تكون هديتها عبارة عن قصة منشورة بمجلة، فضلا عن كون الإهداء موجه لها، بخلاف أن بطلة القصة - والتي من المفترض أنها تتماهى مع رؤيا - شخصية شبه مستحيلة ؟

رؤيا - وكما شبهت أحلام مستغانمي البنات بالأبواب - تشبه بوابة مدينة عتيقة منسية في قلب صحراء الربع الخالي، مدينة تفتح تلك الأبواب مع شروق الشمس وتغلقها بإحكام عند الغروب، لكن صدقني، في مواسم

الجفاف التي تداهم تلك الصحراء بشكل شبه مزمن، سيفتحون لك البوابة ولو في منتصف الليل ما أن تعلن أنك سقاء تحمل ماء..

جادك الغيث يا رؤيا..

الغريب في الأمر أنني كنت أبذل كل جهدي لأظفر بأي فتاة أقابلها، عدا رؤيا، وحدها التي لا أرغب بالعبث معها، وفي ذات الوقت لا أدري إن كنت أحبها أو إن ما أشعر به هو مجرد ميل، حقيقة لا أدري، هي ببساطة تعجبني، يعجبني جمالها، تبدو بعينيها الكحيلتين كبدوية ترعى غنمها في بادية العراق، يعجبني هدوءها، هي فتاة تصلح كزوجة، صحيح انني أصغر من أن أفكر في مجرد أن أخطب، فضلا عن الزواج، لكن تلك الفتاة تسربت تحت جلدي بشكل أو بآخر، مذ رفضت أن تصافحني يوم التقينا في عيد ميلادي وأنا منجذب لشيء لا أعرفه فيها..

خبريني ما قصتك يا صغيرتي ؟

(الفصل الثالث)

(في ناس بتعرق ع الرغيف   وناس بتعرق م التنس)

(فؤاد قاعود)

(1)

كان لقائي مع عمرو هو الأول منذ شهور، اشتقته فدعوته لشرب قدحه المفضل: قهوة مضبوط بالليمون! سألني:

- كيف يعيش شخص دون أن يشرب قهوة ؟ القهوة والسجائر والنساء توليفة لن أقوى على العيش بدونها يوما.
- تذكرني بمقولة دونتها في أجندتي، قالها كمال أحمد عبد الجواد في أحد أجزاء الثلاثية، كان يقول: ما الحياة إلا مرأة وكأس وكتاب.

رد بحماس:

- صدق.
- ليس هناك قواسم مشتركة بينك وبينه سوى المرأة.
- والكتاب.
- بمناسبة المرأة، دعني أحكي لك إذن قصتي مع رؤيا..

كنت أرغب في استشارته، كان هذا أحد العوامل التي دفعتني لمقابلته، حكيت له كيف تمضي الأمور، وأننا بتنا على شفا حب، لم يرقه كلامي وعقب:

- أظنك تحاول أن تنسى الخديعة التي تعرضت لها، منذ متى وأنت تعرف هذه الفتاة ؟ يا صاحبي لا تحاول أبدا أن تنسى فتاة بأخرى، الحمقى وحدهم من يفعلون ذلك.
- لذلك احترست وفكرت مليا قبل أن أخطو أي خطوة نحوها.

- دعني اسألك سؤال إذن.. ماذا تمثل المرأة بالنسبة لك ؟

ضحكت من سؤاله المباغت، فكرت برهة ثم أجبت:

- لا أدري كيف أجيب على سؤالك هذا، لكني أرى أن المرأة مخلوق جميل، هي أحد متع الدنيا في نظري، لا أعني المتعة الجسدية، بل أقصد وجود امرأة ما في حياة الرجل أمر مهم، أتذكر أن الأديب الأردني غالب هلسا قال أنه لابد من وجود مرأة في حياة الكاتب.

رد باستخفاف:

- فقط ؟ هذا ماتمثله المرأة لك؟

- يبدو أنني لم أحسن التعبير، قيمة البنات في حياتي أكبر من هذا، المرأة جانب مهم جدا من حياتي، ألم يقل الرسول (حبب إلي من دنياكم ثلاث) ؟ أراها شريكتي في الدنيا ومكافأة المؤمن في الآخرة.

ضحك عمرو كثيرا حتى انقلب ضحكه إلى سعال ثم قال:

- لذلك لا أرى فتاة تستعصي عليك، أتعرف لماذا ؟ لأنك تخلط الدين بكل مناحي الحياة، بوسعك أن تغازل مرأة وتقول (كواعب أترابا) - ثم ماطا حروف كلماته - انت صاااايع.

ابتسمت ولم أرد، كرر سؤاله لكن بشكل مختلف:

- لو افترضنا أنك تقوم بكتابة قاموس لغوي أو شيء مشابه، كيف ستعرف المرأة ؟

- كتبت في صغري تعليقا عن الفتيات ربما يكون هو ما تبحث عنه، قلت: النساء كالأوكسجين، لا نستطيع أن نعيش بدونهن، وهن

كالأوكسجين أيضا، قابلات للاشتعال في أي لحظة ويساعدن عليه.

عاود الضحك مجددا، قاطعته هذه المرة وجرجرته مجددا لموضوعي:

- ما رأيك في موضوع رؤيا ؟

مسح الدمعات الناتجة عن الضحك ورد:

- لا أستطيع أن أملي رأيا في أمر كهذا، استفتِ قلبك وإن أفتاك الناس، لكن كي أريحك، إن كنت تراها مهذبة وعلى خلق وأنت تحبها فأقدم ولا تبالي..

(2)

جهزت عدتي وراجعت الورقة التي دونت بها الأسئلة، اشتريت بطارية جديدة للكاسيت وحضرت الكاميرا ومن ثم انطلقت صوب المقهى الذي اتفقت عليه مع السيناريست والأديب (جلال فاضل) لإجراء لقاء لمجلتي الجديدة، كنت متوجسا من اللقاء لأنه الإنترفيو الأول الذي أقوم به رغم أنني تدربت كثيرا على طرح الأسئلة بنوع من الثقة، وصلت قبل موعدي بنصف ساعة وشربت عصير ليمون ورحت أراجع الأسئلة مجددا، هذا الرجل ليس رجلا عاديا، يكفي أنه في العام الماضي تم عرض ثلاثة أفلام من تأليفه، كما طرح رواية في السوق، بخلاف عمله كمعد في العديد من البرامج، فضلا عن عدة مقالات وأعمدة يكتبها في أكثر من مطبوعة مصرية وعربية، لذا كنت أشعر بقلق بالغ، خاصة عندما تأخر عن موعدنا، فهاتفته لأتأكد من قدومه،

اعتذر عن تأخره ووعدني بأنه سيصل خلال ربع ساعة، ربع ساعة امتدت لتصبح ساعة كاملة، ورغم ذلك انتظرته حتى وصل، نهضت وصافحته ثم أدرت جهاز التسجيل ورحت أوالي عليه أسئلتي، حاورته في السينما والأدب والصحافة والسياسة...

وللحق كان رجلا مفوها ولبقا، يضع السم في العسل ويلدغ من يشاء دون أن تستطيع إدانته.

طال اللقاء لما يربو عن ساعتين، كنت مستمتعا به، وفي الختام طلبت من النادل أن يلتقط لنا عدة صور، ثم طلبت من الأديب أن يقرأ قصتي (سيد) ليبدي فيها رأيا، وللحق لم أكن أطمح لمجرد معرفة رأيه، بل كنت أتمنى أن يحولها لفيلم ! وما المانع ؟ يبدأ الفيلم ونرى في التيتر (سيد - قصة: آسر بحر، سيناريو وحوار: جلال فاضل - بطولة...)

وعدني أن يقرأها ويرد علي في بحر أسبوع..

(3)

للمرة الثانية ألبي دعوة نادر للخروج في نزهة رغم ارتيابي، استأذن من أبي في أن يصحبني لنزهة ثم أعود للمبيت معه على أن أعود للبيت في اليوم التالي.

صحبني إلى مركب في النيل من تلك النوعية التي يطلق عليها (معدية) وهناك قابلت أصدقاؤه، كانوا 4، عرفني عليهم ثم صعدنا للمركب وأبحرنا،

كان هناك أناس آخرين غير أصدقاء نادر في المركب، كنا حوالي **20** شخص رجالا ونساء.

في البداية بدأ المراكبي بتشغيل أغاني من تلك النوعية الشعبية التي تجبرك على الرقص، ثم نهضت مرأة بدينة وقبيحة ودارت على الركاب واحدا وراء الآخر مادة يدها، فكان كل من تمر أمامه يعطيها بعض الأوراق النقدية، ملت على نادر وسألته هامسا:

- ماذا تفعل شحاذة كهذه هنا ؟

ابتسم ورد:

- ليست شحاذة، هي راقصة، يدور المركب بنا من ساعة ونصف إلى ساعتين في النيل، وهي تتقاضى ثمن رقصها من الركاب، صحيح أنها راقصة درجة عاشرة، لكنها تصفي أرباحا قد تصل إلى **50** جنيه عن الساعتين.. أرزاق.

ثم جأر وهو يسأل المراكبي:

- أمان يا عم قرني ؟

فرد هذا الأخير بصوت بدا لي كأنقاض صوت:

- أمان يا أستاذ نادر.

بمجرد أن سمع نادر كلمة (أمان)، أخرج من جيب سترته أكثر من **10** جوينتات، ناول كل واحد منا واحدا وألقى بالباقين جواره، تناولت الجوينت وأنا مندهش مما أراه، حشيش في الهواء الطلق، شعور جميل لم أجربه إلا في الإسكندرية عندما شربت على الشاطئ فجرا، غير أن سبب دهشتي الحقيقي

كان من منظر الراقصة البدينة التي راحت تتلوى كأنها مصابة بمغص، ووقف أمامها أحد أصحاب نادر، يـرقص حينـا ويعبـث بجسدها حينـا، و المشهد الأغرب من هذا وذاك والذي جعلني أشعر بشيء من القرف من تلـك النزهـة عندما رأيت شابين من الركاب يحاصران فتاة بينهما وهم يقبلانها ويعبثان أيضا معها ! ثم انتزعني من هذا المشهد منظر عم قرني، أو القبطان قرني كما يحلـو لـه أن يناديه الناس، وقد استخرج من تحت قطعة قماش كبيرة بآخر المركـب تلـك النرجيلة الصغيرة التي نسميها (جوزة) وراح يرص الأحجار لفتـاتين جلـستا وحدهما في طرف قصي من المركب، نظرت لنادر وسألته:

- ما هذا المكان العجيب ؟

مد قداحته وأشعل لي الجوينت وهو يرد:

- هذه غرزة عمك الربان قرني، يسترزق منها، مكان ولا أجمل، افعـل مـا يحلو لك هنا، أعتقد أنه بوسعك أن تكتب عن هذه التجربة قصة.
- قصة ؟! بل رواية كاملة، هذا مكان غريب، لم أتوقع أن أرى مثـ...

غير أن عم قرني قاطعني وهو يقف أمامي بأسنانه المنخورة الصفراء بغير سوء وهو يعرض علينا اختيارا آخر لم أكن أعلم بوجوده:

- بيرة يا بيه ؟

بيرة ! هذه غرزة حقيقية إذن، نساء وحشيش وبيرة..

جلب نادر بيرة لي ولأصـدقائه، عـرض عـلي أن أجـرب الحـشيش عـلى الجوزة، وصراحة أغراني العرض، فلم أكن قد جربتها من قبـل، فقبلـت، لـذا جلب عم قرني الجوزة وراح يرص الحجر بينما رحت أنا أتابع الراقصة عنـدما

خطف نظري شاب قد شمر ذراعه الذي تدلت منه حقنة، لاحظ نادر استغرابي فتطوع بالتفسير:

- بيسة.. تسمع عنها ؟

هززت رأسي إيجابا، ورحت أشد نفسا من الجوزة، وأعقبه بجرعة بيرة، تساءلت (هل كانت الحانات التي يرتادها أبو نواس مشابهة لهذا المكان ؟ بل ربما أسوأ، كان بها خمر ونساء وشذوذ! وجدت أبياته تتردد في نطاق دماغي المترعة بالدخان الأزرق:

يارب مجلس فتيان سموت له والليل محتبس في ثوب ظلماء

لشرب صافية من صدر تفشي عيون نداماها بلألاء

لا أظنها كانت بهذا المستوى، غوانيهم القوقازيات بالقطع أجمل من هذه المرأة البدينة، ورفاقه كانوا شعراء ومثقفين من صفوة القوم، لكن مجلسنا هذا ليس به شذوذ، ربما تكون هذه الميزة الوحيدة لصالح مجلسنا هذا عن مجلس أبي نواس..)

انتشلني نادر من جولة الخيالات تلك وسألني:

- مهتم بالسياسة ؟

رددت وأنا أشعر بالثقل في رأسي:

- لا، عندي من الهموم ما يكفيني لأعوام قادمة.

- يا ساتر ! يعني ألا تتابع التمهيدات الأمريكية لضرب العراق ؟

- لا شأن لي، أشعر بشيء من الحزن بالطبع، كان لي أصدقاء عراقيون كثر في الإمارات، لكن ليس ذاك هو همي الأول، لا أستطيع أن أفكر في

غيري وأنا أعاني ما أعانيه هنا.

- وما الذي تعانيه ؟
- دعك من المشاكل الشخصية، أنا رغم مرور أكثر من عام على وجـودي هنا، لم أستطع أن أندمج في المجتمع، أشياء كثيرة تحدث لا أفهمهـا ولا أجد لها تفسيرا، وما أستطيع تفسيره يزيدني هما.
- مثل ؟
- سأعطيك بدل المثال عشرة: ما هي الأحاديث والقضايا التـي أصـبحت قضايا رأي عام مؤخرا ؟ تفاهات: سفاح يظهر في مدينة سـاحلية يثـير ضجة ثم يختفي، مذيع ناجح يتورط في تلفيق حلقة عن البغايا، شـجرة مكتوب على جـذعها لا إلـه إلا الله محمـد رسـول الله، وهـذه الأخـيرة سألت فيها خالي المهندس الزراعي الذي أخـبرني أن هنـاك أنـواع مـن الأشجار إن جرحـت لحاءهـا أفـرزت مـادة لتكـسو ذاك الجـرح عـلى الشاكلة التي هو عليها، بمعنى إن كتبنا بسكين عليها مثلا كلمة (نادر) أفرزت عصارة لتغطي ذاك الجرح، لكن هذه العـصارة سـتأخذ شـكل الكلمة التي نحتت على جذع الشجرة، ثم هل نحتاج لوثيقة كهذه بعد أكثر من 1400 عاما مـن اعتناقنـا للإسـلام، والغريـب أن كـل هـذه الترهات لا تظهر إلا عندما يكون هناك حدث هـام ومـؤثر في المنطقـة العربية مثل ضرب العراق.. بطريقة (بص العصفورة).

ضحك نادر وأصحابه وهم يسمعون رأيي، قال أحدهم:

- واضح أن ثقافتك عالية.

علق نادر:

- واضح إن الطاسة عمرانة.

أضاف آخر وهو يشير تجاه الراقصة:

- واضح إنه دورك لترقص معها.

لم أشأ أن أرفض طلبهم، نهضت وانخرطت في فاصل رقص مع الراقصة القبيحة، طلبت مني ان أضع لها أي مبلغ ما بين نهديها ففعلت، وحزمتها بكوفيتي - رغم شعوري بالقرف التام منها - رقصت حتى تصببت عرقا، وعندما شعرت برغبة في التبول، توقفت عن الرقص وسألت نادر إذا ما كان هناك مكان ما لأقضي فيه حاجتي، ابتسم وقال لي (النيل أمامك).

ابتلعت خجلي ومشيت مترنحا إلى حافة المركب وأنا أتساءل (لمن كتب هنري ميلر رائعته "مخدرون وعاهرون" ؟)، دنوت من الحافة وشرعت أنفذ، وعندما فرغت، وقفت قليلا عند حافة المركب، طربت لنسمة هواء جميلة، أغلقت سحَّابة البنطال، شعرت براحة كملك انتصر في معركة.

(4)

هاتفت رؤيا، ولدهشتي ردت علي، لم أطل عليها، بعد السلام قلت لها

- رؤيا.. أنا أحبك.

صمتت لبرهة ثم ردت:

- وأنا أيضا، لكن بشروط.

قلت لنفسي: تتشرط منذ البداية ! لم أسمع من قبل عن الحب المشروط، أعطيتها فرصة لتشرح لي:

- أولا ستمتنع عن التدخين.
- وثانيا ؟
- ستكف عن كتابة أشياء بذيئة في قصصك.
- و ؟
- ثالثا وأخيرا: لا لقاءات، لا مكالمات، فقط الإنترنت ورسائل الموبايل..
- لماذا ؟ هل أحب شبح ؟
- هذا الصواب في رأيي.

تذكرت المقدمة التي وضعها صاحب كتاب الوصايا في عشق النساء، قال: "مر النبي صلى الله عليه وسلم على أعرابية ترعى غنمها وهي تتغنى وتخاطب الصاحبين الوهميين وتقول: (هل علي ويحكما، إن هويت من حرج ؟) فتبسم الرسول وقال (لا حرج إن شاءن الله)" لا أعرف صحة الحديث، لكنه قفز فجأة إلى رأسي، كيف أحبها دون لقيا ؟ غيرت مسار الحديث:

- سأرسل لك قصة سيد التي قررت في منهج كلية الآداب.
- حقا قررت ؟
- أجل.
- في أي منهج ؟

شرحت لها الموقف كاملا، هنأتني:

- مبروك.

- شكرا.

طلبت مني أن نستكمل الحديث على الإنترنت ففعلت، حاولت إقناعها بوجهة نظري غير أنها أصرت على رأيها، كل الذي منحتني إياه لقاء واحد لكل شهرين !

(5)

هناك شيء أسميه (المعجزات الصغيرة)، والمعجزات الصغيرة هي تلك الأمور شبه الخارقة أو شبه المستحيلة التي تحدث لنا في حياتنا، فإن تزوجت رؤيا مثلا في التو واللحظة، تكون تلك معجزة صغيرة، إن ربح منتخبنا كأس العالم، فتلك معجزة صغيرة أخرى، إذا رن جرس هاتفي لأجد باولو كويليو يهنئني على قصة كتبتها، تكون هذه أيضا معجزة صغيرة.

فحمدا لله على المعجزات الصغيرة.

قد حدث ما كنت أصبو إليه، اتصل بي (جلال فاضل) معلنا انبهاره بالقصة، قال كلاما كثيرا أسعدني وأخجلني، صارحني برغبته في أن يحول القصة إلى عمل سينيمائي، لكنه طلب مني تعديلها بحيث تصير أعمق و أكثر دلالة، وأردف:

- من الصعب أن تحول قصة قصيرة إلى فيلم، عليك أن تعمقها، عليك أن تعثر على المزيد من الأحداث، اسمع، ما قرأته كان مدهشا، وإن استطعتَ أن تكملها على النحو الذي أتخيله سيكون الفيلم قنبلة

الموسم.

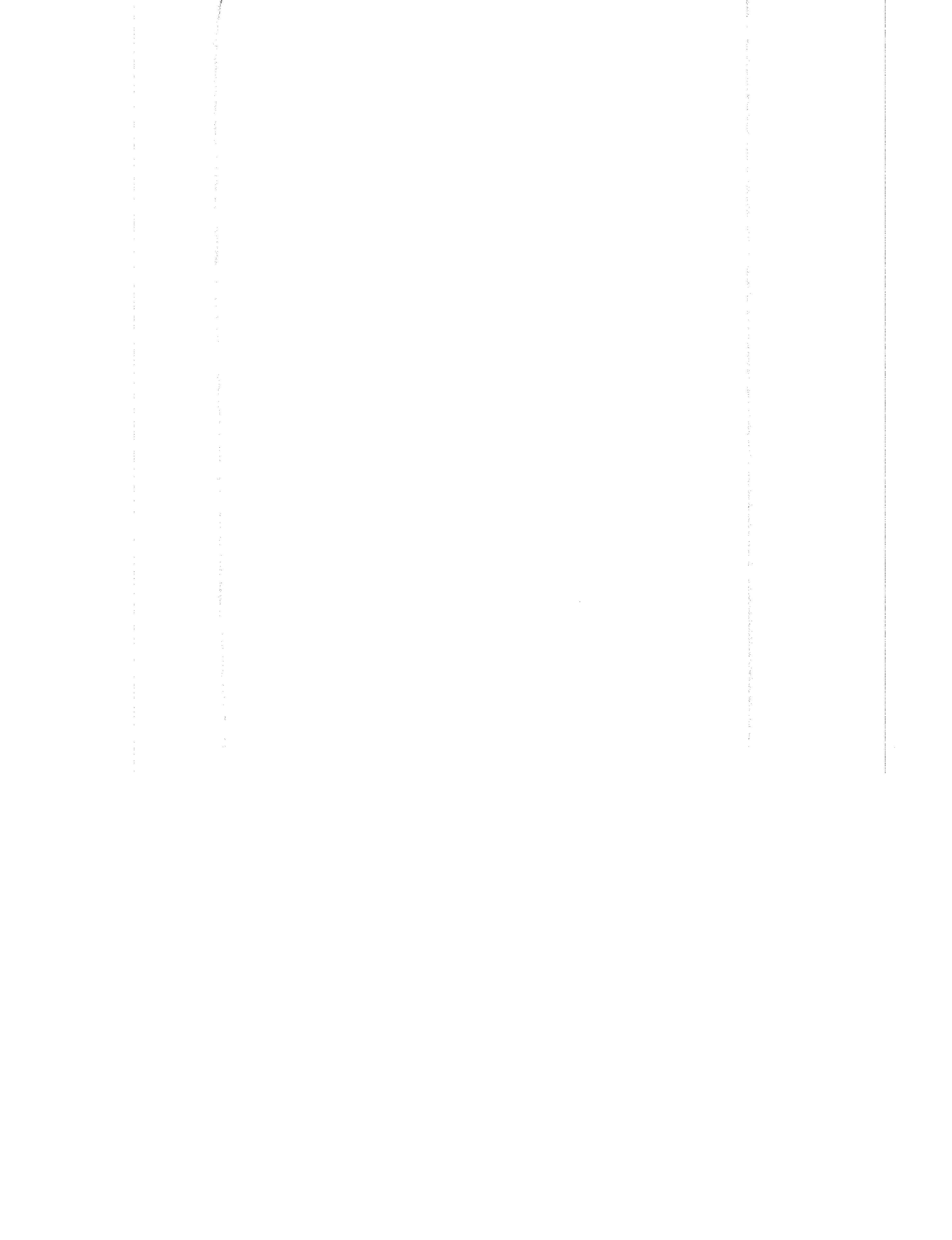
- هلا شرحت لي ذاك النحو الذي تتخيله ؟
- آسر، فيلم (الكيتكات) هو تأليف إبراهيم أصلان، لكنه فعليا معالج تماما من قبل مخرجه داوود عبدالسيد، وأنا الذي أطلبه منك أن تقرأ الرواية الأصلية، ثم تشاهد الفيلم، والفارق بينهما هو ما أريد منك أن تصنعه بقصتك، فهمت ؟
- فهمت، متى تريدها ؟
- خذ وقتك، يكفيك شهر ؟

رددت متحمسا:

- شهر أطول من اللازم، عموما سأرسلها لك ما إن أنتهي منها.
- وسأكون في انتظارها يا أديب.

(الفصل الرابع)

(كنت في الرحم حزينا
دون أن أعرف للأحزان أدنى سبب !
لم أكن أعرف جنسية أمي
لم أكن أعرف ما دين أبي
لم أكن أعلم أني عربي!
آه.. لو كنت على علم بأمري
كنت قطعت بنفسي (حبل سري)
كنت نفست بنفسي وبأمي غضبي
خوف أن تمخض بي
خوف أن تقذف بي في الوطن المغتربِ
خوف أن تحبل من بعدي بغيري
ثم يغدو - دون ذنب -
عربيا في بلاد العرب !)
(أحمد مطر - ما قبل البداية)



(1)

بدأ القصف.

جلست على المقهى مع عمرو نتابع بدايات الحرب على العراق، كنت أشعر بالخزي، لا أعرف لماذا ولا أملك شيئا لأقدمه، لكني كنت أشعر بغضب بالغ، بكى النادل بالمقهى وأبكى معه الكثيرين، طفرت دمعة من عيني، ترى كيف يشعر أحمد مطر الآن ؟ كيف يشعر سعدي يوسف ؟ أي عار ؟!

شتم أحد رواد المقهى الكويت، رد عليه آخر مدافعا عنها:

- لو أتى أحدهم ووضع إصبعه بمؤخرتك، هل ستلوم مؤخرتك أم تلوم نفسك لأنك سمحت له بأن يفعل ذلك ؟

رد الحانق:

- سألوم نفسي طبعا.
- إذن لا تلومن الكويت.

ضحك النادل وسط دموعه، جاهدت كي ابتسم ولم أفلح، هنيئا لنا السفاح الساحلي والشجرة المعجزة والمذيع ببغاياه الزائفات، هنيئا لنا الخيبة والخذلان.

نظر لي عمرو وهو واجم، ثم انفجر بغتة في البكاء، بكى بشكل هيستيري، راح ينهنه وهو يداري وجهه بكفيه، أشفقت عليه، أشفقت على الجميع مما رأوه، أشعلت سيجارة له فرفض ان يتناولها، دسستها بين شفتي

وقررت أن أصحبه معي للمنزل غير البعيد إلى أن يهدأ، فإن استمر على بكائه أجبرته على المبيت عندي.

تناولته من ذراعه وخرجت به من المقهى، لأجد نفسي وجها لوجه مع أبي ! بصقت السيجارة، نظر لي أبي نظرة وحدي أعرف معناها، لم يعلق، فقط أمسك بذراع عمرو المنهار وهو يسألني عن خطبه، قلت له أنه مذ رأى صور القصف وهو لا يكف عن البكاء، طلب مني أن نسنده حتى نصل إلى البيت، كان المسكين غير واعٍ، يبكي ويبصق حينا ويرفض المشي حينا والمارة يتفرجون عليه وعلينا.

وصلنا إلى المنزل، أمرني أبي ان أدخل عمرو إلى غرفتي وأن أتصل بأهله لأطمئنهم إن هو تأخر، ثم خرج من الغرفة، وضعت عمرو على السرير ورحت أقول له كلاما يحثه على الصبر والتجلد، بدأ بكاؤه يخف، وسرعان ما نام.

أطفأت النور وألقيت بوسادة على الأرض وتمددت جواره ورحت أفكر في مصيبتي (لماذا يمنعني من التدخين وهو يدخن ؟ هل يتغاضى عن الموضوع بأسره ؟ لا أظن أنه سيفعل ذلك، كيف سيكون رد فعله ؟ كف أبي عن ضربي منذ زمن، لكن عقابه يكون دوما قاسيا حد الإهانة، هل سيمنعني من الخروج من البيت ؟ هل سيمنع عني المصروف ؟ أمن الممكن أن يصل به الأمر إلى ضربي ؟ ماذا لو سحب الهاتف المحمول ؟ أو سحب الكومبيوتر ؟ والأدهى إن منعني من مجرد مشاهدة التلفاز و حرمني من كتبي..) ظللت على حالي هذا قرابة الساعة، أحملق في الظلام عاجزا عن النوم كأنما ذرت في عيني حفنة

سهاد، لا أسمع أصوات سوى أنفاس عمرو ولا أفكر في شيء غير أبي الـذي ضبطني متلبسا بسيجارة في فمي !

فجأة ناداني عمرو وسط الظلام، أجبته فسألني:

- أتعرف ماذا قال شعراء حزب البعث عندما أرادوا المفاخرة ومدح صدام ؟

- ماذا ؟

- قالوا:

ولولاك ما هطل المطر

ولولاك ما نبت الشجر

ولولاك يا صدام ما خلق البشر

يد الله لو امتدت إلى البعث قطعناها

ثم عاود البكاء وهو يسأل:

- لماذا لم يقطعوا أيدي الأمريكان ؟

وراح ينهنه من جديد.

(2)

عند الظهيرة غادر عمرو منزلي، شكرني وغادر، تركني لأواجه أبي، قرأت دعاء الحفظ ثم دخلت، وجدته جالسا يقرأ الصحيفة، لم أحاول أن أتجاهله، جلست قبالته، ألقى بالصحيفة على حجره ونظر لي ولم يتكلم، ياويلاه

من نظراته التي بوسعها أن تحرقني، أجبرتني على أن أنظر للأرض، من الذي قال أن الجحيم هو عيون الآخرين ؟ كنت أشعر بنظراته تصفّعني، حاولت كثير أن أرفع رأسي تجاهه وأحادثه، ربما أعتذر، ربما أتواقح وأقول له أن فاقد الشيء لايعطيه، لكني لم أنجح، ظللت هكذا أنظر للأرض وهو يحملق لي ولا يتحدث، ذبذات ما خارجة منه كانت تصلني، ذبذبات غاضبة وساخطة جعلت الهواء بيننا مشحونا بالكهرباء.

قطع صمته ونطق:

- صحتك ملكك سيحاسبك عليها الله، لكن المال لي، لن أمنحك أكثر من جنيهين في اليوم، حتى إن رأيتك تتضور جوعا والتصقت بطنك بظهرك.

كدت أنطق بكلمة لم أحددها، بيد أني لم أستطع، وماذا كنت سأقول ؟ فليكن ما تشاء.

(3)

بعد أبي كان دور رؤيا لتسكب علي الكثير من الجاز وتشعل في الكلمات، لم ترقها (سيد)، كانت كلماتها تتجسد أمامي على شاشة الكومبيوتر كعقارب صغيرة:

- لا أعرف لماذا تكتب ما تكتبه ؟ القصة حقيقة من أسوأ ما قرأت، كم السفالة والسباب بها صعقني، لمن تكتب أنت ؟ ومن تظن أنه كان

سينشر قصتك ؟ آسر، ستجذب من ناصيتك وتقلب في النار.

- رؤيا، بوسعك أن تقولي رأيك بطريقة أهدأ من طريقتك هذه.
- آسر، عاهدني على ألا تكتب أشياء كهذه مرة أخرى.
- ......
- إذن سلام.

(4)

أرسلت قصة سيد بعد التعديل لجلال فاضل، وفي اليوم التالي اتصل بي، أسعدتني مكالمته وأحزنتني في آن، قال أنه قرأ القصة بعد التعديل، علق:

- لو أنك قمت بهذه التعديلات في أسبوع واحد، فهنيئا لنا أديب مثلك.
- حقا ؟ هل أعجبتك بحيث يمكننا أن نحولها فيلما ؟
- طبعا أعجبتني، لكنني سأطلب منك أن تعدلها مجددا، لا تحزن ولا تتعجل، قصتك بشكلها الأخير جميلة، لكن بها بعض العيوب الصغيرة، اسمع..

وراح يعدد مزاياها وعيوبها، ظل يكلمني قرابة ساعة وأنا أدون جميع ملاحظاته، أردف:

- هل فهمت ما أريده ؟ قصتك إن أخذتها بشكلها الأخير لمنتج سيعطيك من أربع إلى خمس آلاف، لأنني سأضيف عليها كل ما شرحته لك، وأنا لا أريد أن أفعل ذلك، أريدك أن تتقاضى الثمن كله، عشرين ألف

ربما أو أكثر، أرى أنك موهوب بما يكفي لتقوم بتلك المهمة وحدك.

- وأنا مستعد لذلك. لكن متى تريدها ؟

رد بسؤال:

- كم تبلغ من العمر يا آسر ؟
- بعد 3 شهور سأتم التاسعة عشر.
- ما رأيك أن ترسلها لي عندما تتم التاسعة عشر، لا تتعجل، خذ شهرا، شهرين، لا يهم، المهم أن تكون بداية التعارف بينك أنت والناس مقنعة جدا لتنحت لنفسك اسما.. أليس كذلك ؟

شعرت لوهلة بخيبة أمل، لكنني وجدت نفسي مضطرا لموافقته:

- هو كذلك يا أستاذ.

(5)

كان علي أن أرى رؤيا وأصالحها، لم تتح لي الفرصة كي أهنأ بها حتى أغضبها، وكي أقابلها كان علي أن أحضر لها هدية ما، ولأشتري هدية كان علي أن أستجدي أبي ليمنحني مالا، أو أن أجلب ذاك المال وحدي، لم أعتد أن اقترض مالا من أحد، لذا استبعدت نادر وعمرو من حساباتي، أحضرت ورقة وقلم ورحت أكتب الطرق التي قد أحصل بها على بعض الأموال، لا أريد أكثر من 100 جنيه، وضعت سن القلم على الورقة، حاولت أن أكتب أي وسيلة قد تأتيني بالمال، غير أني لم أستطع، ظللت ممسكا بالقلم لفترة

وجالسا بالغرفة لتظن أمي أنني أذاكر، وبعد نصف ساعة لم أجد في الورقة سوى بعض الشخابيط والدوائر والخطوط التي لا معنى لها،رفعت رأسي للسماء ورحت أدعو الله أن يفرجها علي، ثم نهضت وغيرت ملابسي ونزلت كي أتمشى وأدخن سيجارة..

في الشارع قابلت جاري، طلب مني أن نذهب للمقهى لنلعب الدومينو، وافقت وذهبت معه، كنت شاردا طوال الوقت، لاحظ هو ذلك وسألني:

- لم تبدو متضايقا ؟
- لا أملك مالا، عرف أبي أنني أدخن وعاقبني بشدة.
- أها، قطع عنك المصروف ؟

زفرت:

- للأسف.
- مررت بهذا الموقف منذ سنين.
- وماذا فعلت ؟
- عليك أن تعمل، كنت أجيد التعامل مع الكومبيوتر، فعملت بأحد مقاهي الإنترنت، وبأول مرتب قبضته، جلبت لأبي خرطوشة سجائر كاملة، ابحث عن أكثر شيء تجيده، واعمل به.
- أنا لا أجيد سوى الكتابة، والمجلات التي أكتب بها لاتمنحني شيئا.

رد باندهاش:

- ولا أي شيء ؟!

ابتسمت وقلت متهكما:

- المجد.
- لكن المجد لن يطعمك. على رأي المثل (معك قرش، تساو قرش).
- وما الحل إذن ؟
- قلت لك ما أعرفه، اعمل.

غادرنا المقهى، عدت للمنزل، استلقيت على السرير ورحت أفكر في أمر أجيده كي أعمل فيه، رن جرس هاتفي، نظرت إلى الشاشة، فوجدت الحل يتراقص أمامي، حملقت في الرقم بعد أن كف الهاتف عن الرنين، طلبت الرقم فجاء الصوت لعوبا من الطرف الآخر:

- كويس إنك لسه فاكرني يا قمر، مش هتيجي بقا ؟
- أجيلك على رموشي يا ناهد..

(6)

زعمت أنني ذاهب إلى المدرسة كي أعرف موعد الامتحانات، غير أنني توجهت للمقهى، حيث كان عمرو بانتظاري، ما إن رآني قال بتوتر:

- أقلقتني، أي موضوع ذاك الذي تجبرني من أجله أن أستيقظ في السادسة صباحا ؟

أخرجت سيجارة من جيب قميصي قبل أن أجيب، ناولتها إياه، نظر لها باستغراب وقال:

- كليوباترا ؟ هل أشهرت إفلاسك ؟

- تقريبا.

وشرحت له ما كان بيني وبين أبي، ثم حكيت لـه أنني قـررت أن ألجـأ لناهد، ضحك كثيرا وقال:

- أنت أول جيجولو أراه على أرض الواقع.
- وما هو الجيجولو ؟
- مثل المرأة الرخيصة، رجل رخيص يبيع جسده للنساء، ثم مـا أدراك يـا شاطر انها ستمنحك مالا ؟

ابتسمت وقلت بفخر:

- أخوك قادر على إجبارها على ذلك.

مازحني وهو يربت على كتفي:

- أسد. لكن متى موعدك معها ؟
- بعد ساعة.
- ولماذا أيقظتني إذن ؟

أخجلني سؤاله، كنت أتمنى أن يعرض علي هو بنفسه أن يقرضني:

- أنت آخر خطوط دفاعي يا عمرو، لو أخذت منك مالا لن أذهب إليهـا ولن أكون مثل تلك الكلمة الغريبة التي قلتها.

صمت ثوان ثم قال:

- لا أملك سوى 11 جنيـه، وبعـد خـصم أجـرة المواصـلات وحـساب المشروبات سيتبقى لك 6 جنيهات.

أطرقت صوب الأرض، لهذا كنت أرفض الاقتراض، هو إحراج، كيف تقترض في مجتمع أفرز مثلا يقول (السلف تلف والرد خسارة) ؟ أشهدك يا رب أني حاولت، تحاملت على كبريائي وحاولت أن أقترض، نادر مع أصدقائه في الساحل الشمالي وعمرو لا يملك مالا..

- لا عليك، هينة.

جلسنا نتحدث قرابة النصف ساعة، حتى حان موعد مغادرتي، فركبت متجها إلى حي المهندسين، طلبت مني أن نلتقي هناك رغم أنها تسكن في منطقة الدقي، لم أبالِ وتحركت. وفي موعدي وصلت لأجدها تنتظرني في سيارتها، أشارت لي فركبت، بادرت بتقبيلها لكسر أي عائق قد يعوق مخططي، سألتها:

- إلى أين ؟

- ستعرف الآن.

آثرت الصمت، دست اسطوانة في مشغل الأقراص، لأسمع موسيقى جميلة وصوت أوبرالي رخيم يغني بلغة لم أفهمها، لم أحاول سؤالها عن المغني ولغته، فقط تابعت معها الطريق حتى توقفت بعد خمس دقائق أمام محل للملابس وطلبت مني النزول.

دخلت معها إلى المحل، رحب بها الشاب الذي يقف في المحل، قدمتني إليه ناهد:

- ابني، طبعا تتذكره.

- طبعا يا أفندم، كيف حالك يا مصطفى ؟

نظرت لها باندهاش، لكنـي تـداركت سريعـا ومـددت يـدي مـصافحا الشاب، سألته ناهد:

- جهزت ما طلبته منك ؟
- طبعا يا أفندم، تفضل مع كمال يا مصطفى.
- اذهب معه يا مصطفى.

صاحبني شاب أصغر من البائع إلى غرفة قياس الملابس بالطابق الأعـلى، ناولني لباسا تحتي أزرق اللون وسألني:

- ما رأيك ؟ ذوق والدتك جميل، جربه.

ثم فرد الستار وخرج.

قلت لنفسي:(ما هذه المعتوهة؟)، خلعت البنطال ومـا تحتـه، وارتـديت اللباس الأزرق، كان يشبه المايوه، وقد خيط عـلى مؤخرتـه شيء يـشبه الـورق المقوى، ما إن ارتديته حتى آتاني صوتها من الخارج:

- هل انتهيت ؟ أأدخل يا حبيبي ؟

أجبت ممتعضا:

- تعالي يا ماما.

جذبت الستار ودخلت ثم شدته خلفهـا، نظـرت لـنصفي الأسـفل ثـم ابتسمت، مدت يدها بغتة وتحسـست سري، فأجفلـت وتراجعـت للخلـف، همَسَت:

- عظيم، تبدو فاتنا، خذ هذا الكيس وضع فيه القديم و ارتدِ بنطالك ثـم الحق بي في السيارة.

كنت كالتائه، ارتديت البنطال وهبطت السلالم للدور السفلي، ألقيت التحية على البائع، لاحظت بطرف عيني أنه ينظر لزميله ضاحكا وهو يغمز ثم قال ماطا حروف اسمي الجديد:

- نورتنا يا درش.

تغاضيت و ركبت السيارة، نظرت لناهد وقلت بانفعال حاولت التحكم به:

- ما الذي تفعلينه ؟

رنت إلي وابتسمت:

- أنت ضيفي، دعني أكرم ضيافتك على طريقتي.

ثم وضعت الاسطوانة مجددا وتحركنا صوب منزلها.

لم يمضَ أكثر من ربع ساعة حتى كنا وصلنا، ركبنا المصعد، كانت تنظر لي بشغف جعلني أقلق، توقفنا في الطابع السابع، خرجت فخرجت خلفها، أدارت مفتاحها في الباب لتفتحه، دعتني للدخول، لم تكن شقتها بالفخامة التي تخيلتها، كانت تشبه شقتنا أو أفخم قليلا، طلبت مني الجلوس وغابت لدقائق ثم نادتني، اتجهت صوب الغرفة التي دخلت إليها، وجدتها مستلقية على السرير وهي ترتدي ثوب شفاف لدرجة مضحكة، أشارت للمكان الخالي جوارها:

- تعال، هل تخجل ؟

- لا طبعا، ما كنت لآتي.

تنهدت بشكل مبالغ وقالت:

- أنا لك، أرني ما عندك، دلعني.

وللعجب لم أستطع أن أتحرك نحوها، كنت محبطا وحزينا وأشعر بخجل شديد من نفسي، لا أدري إن لاحظت هي ذلك أم لا، مدت يدها وداعبت شعري:

- ألست جميلة ؟
- طبعا جميلة.
- إذن ما بك يا صاحب الشعر الحريري ؟

هنا طفرت دون إرادتي دمعة من عيني، نظرت لها، وحكيت قصة طويلة عمرها هو عمر كل الجراح القديمة، كانت - وهي تسمعني - تشعل سيجارة من عقب أخرى وتناولني مع كل سيجارة تشعلها واحدة لي، وتناولت من جوارها ريموت كونترول صغير لتدير بعض الأغنيات المشابهة لتلك التي أدارتها في سيارتها، ظلت تسمعني دون تعليق منها، ولما فرغت من حكايتي، نامت على جنبها لأجد نهديها الكبيرين أمام فمي مباشرة، أخذت نفسا عميقا وقالت:

- كم تبلغ من العمر يا آسر ؟
- 19 عاما.
- وما هذا الشعر الأبيض عند فوديك ؟ أتعلم أني ظننتك في الخامسة والعشرين بحد أدنى عندما رأيتك في المرة الأولى ؟
- حقا ؟ كثيرون قالوا لي أنني أبدو أكبر من سني، هذه الشعيرات ظهرت لي منذ فترة قريبة.

- شعيرات ؟ ألا تقف أمام المرآة ؟ إنك تبدو كبيرا فعلا، أنا أعرف سر هذا الشعر الأبيض، لي قصة مشابهة سأحكيها لك، كنت أعيش في إيطاليا أنا وزوجي قبل 20 عام تقريبا، وُلدت هناك بالأصل، كنت أملك منزلا وعملا، للحق كنت سعيدة جدا، لكن زوجي مات دون مقدمات، اكتأبت وشعرت بالوحدة وعدت لمصر، وهنا عرفت أن الإيطاليين كانوا يبالغون عندما أطلقوا أقاويل من نوعية (شاهد روما وافقد إيمانك) و (شاهد نابولي ثم مت)، فقد شاهدت هنا أكثر بكثير مما قد يفقدني إيماني، هذا المكان حيز للفقد، كنت قد زرت مصر ثلاث أو أربع مرات قبل ان أعود بشكل نهائي، زياراتي كانت خاطفة، أذهب فيها للأهرام والإسكندرية وتلك الأماكن التي يروق لي أن أطلق عليها (وش القفص)، وظننت حينها أن المكان كله (وش قفص)، لكن بعد عودتي النهائية، كان علي ان أرى وجها آخر، يا بيبي.. المعايير هنا تخالف باقي بلدان العالم، أنت في بلد توضع فيه الأحذية داخل فاترينة بينما تباع اللحوم في الشارع وهوائه الملوث..

وانطلقت ناهد تحكي لي عن معاناتها، كانت تحكي وهي تنظر للسقف وتدخن سيجارتها العاشرة ربما أو الحادية عشر، بينما رحت أتأملها وأنا ممد جوارها، لاشعوريا نهضت وجلست قبالة ساقيها المثنيتين، وهي مستمرة في حكايتها، وضعت رجلها على كتفي، نظرت لي وضحكت، ثم عادت لتكمل كلامها، مددت يدي إلى سمانتها ورحت أتحسسها ببراجم أصابعي، لم أتخيل أن تكون طرية إلى هذا الحد، وضعت القدم الأخرى على كتفي الآخر، ضحكت

ضحكة خليعة ولم تتوقف عن الحكي، أدخلت رأسي في فتحة ذاك الشيء الشفاف الذي ترتديه حتى وجدت وجهي مقابلا لسرتها، هنا لاحظت أنها بدأت تتأوه و يتهدج صوتها، رحت أصعد برأسي وأنا أقبلها مرورا ببطنها ثم صدرها الذي تورطت معه طويلا، لا أدري لماذا وأنا أقبلها دهمتني فكرة مفادها أن اختلاف أحجام نهود النساء راجع إلى أن كل مرأة تختزن أحزانها في ثدييها ! ظللت أصعد ذاك الطريق الوعر حتى أخرجت رأسي من ياقة فستانها لأجد نفسي وجها لوجه معها، كانت مستسلمة تماما منذ بدأت ملامستها وحتى أخرجت رأسي من الياقة، قالت بأنفاس ضائعة:

- هذا.. كل شيء.. وعلى رأي المثل **Nobody dies virgin, cause life fucks everybody.**

قبلتها قبلة تستحق دخول موسوعة جينس للأرقام القياسية ثم قلت:

- **I'm the life.**

ضحكت تلك الضحكة الخليعة ليهتز لحمها تحتي، وردت:

- **I'm everybody.**

بعد أن فرغت من عملي، طلبت ناهد طلبا غريبا جدا، طلبت مني أن أترك لها اللباس الأزرق بعد أن أوقع على الجزء الذي يشبه الورق المقوى وأسجل تاريخ اليوم، منحتني مائتي جنيه وعلبة مارلبور أحمر وقالت:

- للمال أو لشيء آخر، متى أردتني هاتفني وستجدني، نحن أصدقاء.

ثم ودعتها ورحلت.

اشتريت الهدية لرؤيا، وأرسلت خاطرة كتبتها خصيصا لها بإحساس صادق، بعثت لها رسالة وطلبت منها أن أحادثها على الإنترنت، ما إن دخلت قلت لها:

- أريد أن أراكِ.
- ليس الآن.

بلعت امتعاضي:

- كما ترغبين حبيبتي، انسي قصة سيد، ما رأيك في الخاطرة ؟
- يسرني أن تكتب لي خاطرة، لكن لا يسرني إطلاقا أن تكفر بسببي، خاطرتك التي أرسلتها لي بالأمس أنا منها براء، (كم من إله شاركوا في خلقك ؟ كم منهم قضى نحبه ؟ ومن حالفه الحظ و نجا أصيب بعقدة بجماليون)، هذه كلمات تكتبها لهند بنت عتبة لا لي.

كنت قد أصبت بحالة من القرف من تلقيها لما أكتبه، ولمت نفسي ألف مرة لأنني توجهت بتلك الخاطرة لمن لن يفهمها..

- بربك لن أتحمل كلمة أخرى، لدي الكثير من المشاكل مع أبي.. أرجوكِ.. كفى.
- بربك أنت لا تكلمني مرة أخرى، بالفعل أحبك، أو قل أنني كنت أحبك، لكني أحب الله أكثر منك ولن أتزوج بملحد.. امسح إيميلي ورقمي لو سمحت، ولو كنت تمتلك ذرة كرامة انس أنك عرفتني يوما ما.

(الفصل الخامس)

"نحن من منفى إلى منفى

ومن باب إلى باب

نذوي كما تذوي

الزنابق في التراب"

((عبدالوهاب البياتي))

(1)

ركزت على مذاكرتي، أو قل أنني حاولت، حبست نفسي لمدة شهر بالبيت لأذاكر، لا أفعل شيئ سوى المذاكرة ومقابلة عمرو من حين لآخر وتعديل القصة كما طلب مني جلال فاضل، كان قد مر شهر ونيف على هجر رؤيا لي، تغاضيت عن آلامي وقررت أن أسحق نفسي كي أحقق مجموعا مرضيا، وجاءت الامتحانات، وكالعادة مرت ببطء صعب، لكنها مرت، الأيام متشابهة هنا، لكنها رغم ذلك تمر.

بعد انتهاء الامتحانات بأسبوع كنت قد فرغت من تعديل القصة التي تحولت لما يشابه الرواية، أرسلتها لجلال فاضل، لكنه لم يتصل بي، قلت لنفسي لعله مشغول بعمل ما، ومنحته أسبوعا آخرا لم يتصل فيه، حاولت مكالمته لكنه كان دوما يحولني إلى الـ **Voice mail**.

ظهرت النتيجة وحققت مجموعا أفضل من سابقه، ليصبح متوسط درجاتي **90** ٪، فرح أبي، قال أنه سينفذ وعده القديم ويرسلني لقضاء شهر في أوروبا.

(2)

دعوت عمرو لزيارتي في المنزل الذي كان خاليا من أهلي المتواجدين في الشرقية لتقديم العزاء في زوجة خالي التي توفيت إثر أزمة قلبية، جاء ومعه الحشيش وما إلى هنالك..

للمرة الأولى أريه دفتر القصاصات، أعجبه كثيرا وقال:

- وجدت الكثير من القصاصات في دفترك لنزار، عليك أن تجعل له واحدا خاصا به وحده، هو رجل كما قال عن نفسه يكتب بالسكين.
- طبعا تعلم أنه عندما رحل الرجل عنا متأثرا بعروبته، أبنته كل وسائل الإعلام العربية،و منهم أحد الصحافيين بمجلة عربية، كتب أنه اتصل بـ (جورج أمادو) وقال له (لقد مات نزار قباني، ماذا تحب أن تقول عنه ؟) فسأله جورج بدهشة: (ومن هو نزار ؟)، رد الصحافي: (أكبر شاعر لدى العرب)، فعاد أمادو ليسأله مجددا: (ماذا يكتب ؟) أجابه المتصل (عن المرأة والسياسة)، فضحك الأديب الكبير وأجاب (ومن لا يكتب عن المرأة والسياسة ؟ فليرقد في سلام) ووضع السماعة ليعود لإكمال نومه !
- أحقا لا يقرأ أحد هناك خلف البحار لنزار ؟ هل هو شاعر العرب فقط ؟
- لا أعلم، فليقرأه من يشاء وليرفضه من يشاء، هو المفضل لدي في جميع الأحوال.
- رغم أنك قصاص لا شاعر.
- ولو كنت راعي غنم كنت لأحبه، كان رجلا لا..

رن هاتف عمروا فقطعت حديثي، رد على الهاتف، بدا كمن تلقى صفعة موجعة، أغلق الهاتف وهو يجأر:

- مصيبة يا آسر مصيبة، كان هذا ياسر صاحبي، كنت قد حدثته عنك

وعن قصتك التي سيحولها جلال فاضل إلى فيلم، يقول أنه رأى منذ لحظات أفيش فيلم جديد اسمه سيد، قصة وسيناريو وحوار جلال فاضل !

يا وجعي !

لاتنقصني صدمات، لماذا لايكفون عن التحرش بي ؟ لماذا لاتكف هذه المدينة عن خذلاني وتبديدي ؟ لم آت غازيا ولم أوذي أحدا أنا، فلماذا يضعونني في مركز رشاشاتهم ويضغطون الزناد دون رحمة ؟

نزلنا مسرعين حيث رأى صاحب عمرو أفيش الفيلم، رأيته بعيني، اتصلت بأبي وأخبرته، طلب مني أن أنتظر حتى أدخل الفيلم وأتحقق بنفسي.

وكان له ما أراد.

أسبوع مر وكان الفيلم بدور العرض، دخلت لأجد ما كتبته بعد التعديل الأول، لم يضف الأستاذ الكبير حرفا ولم ينقص حرف أحكم على لعبته وفعلها..

(3)

بعد أن اختفيت عن ناظري أبي في مطار القاهرة هاتفت عمرو، قال لي وهو يبكي:

- لا تستسلم يا آسر أرجوك، اقض هناك وقتا كما تحب، اقض شهرا أو شهرين أو حتى سنة كاملة، لكن عد.
- أنا منهك يا عمرو، منهك جدا، لدغني الجميع.

- بالله عليك ارجع يا آسر.
- عتاب النذل اجتنابه، قضي الأمر.

بكى كثيرا، وبكيت أيضا، وعدته أن أظل على اتصال به وأغلقت الهاتف، رحت أتجول في السوق الحرة، لا أدري لي وجهة ولا هدف، فُعل بي هنا كل شيئ ممكن وغير ممكن.

ابتعت قنينتين بلاك ليبول و شاتو دو نابليون، وذهبت للمكتبة، اشتريت ديوانا لمحمود درويش وآخر لقاسم حداد، ورواية العطر لباتريك زوسكيند، ومصحفا، توجهت بعدها للمقهى، شربت فنجان قهوة، وددت لو أطلب شيشة المعسل التي أحبها، لكن المكان لم يكن مناسبا لذلك، رحت أقلب في الكتب، دون أن أركز فيها، حتى سمعت المذيع الداخلي يعلن أنه قد آن الأوان للتوجه إلى قاعة المغادرين، توجهت مع المسافرين، جلسنا هناك قرابة الساعة وأنا لا أفعل شيء سوى التدخين والقراءة بشكل متقطع في رواية العطر، ولما طُلب منا الاستعداد لركوب الباص الذي سيقلنا إلى الطائرة، فتحت حقيبة اليد الصغيرة التي ملأتها أمي لي بالشطائر والعصائر، وضعت الكتب في جيب جانبي جوار دفتر قصاصاتي، ووقفت معهم في الطابور، ولم ألحق بالباص الأول، فركبت الثاني، كنت آخر من صعد إلى الباص، وآخر من نزل منه، وآخر من صعد سلالم الطائرة..

كان الجو حارا والسلم عال جدا، عند الدرجة الأخيرة، وقفت، استدرت صوب المدينة، نظرت للشارع القريب من مدرج الطائرات، رأيت

أناسا يبدون من هذه المسافة كالنمل، أخذت نفسا عميقا، خلعت نظارة الشمس، ضيقت عيني لأنظر تجاه الناس في الشارع، دونا عني سمعت نفسي أقول: (شاهت الوجوه).

ودلفت إلى الطائرة.

(تمت)

القاهرة
15 / 3/ 2007 م
الرابعة والنصف فجرا

الفهرس